منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (1795)السنة السابعة -السبت (15) ايار 2010

2

عبقرية شارلي شخصية المشرد على الشاشات

شارلي شابلن

سر نجاحه الأكبر أنه أضحكنا وأبكانا في آن واحد ، الضحكات في أفلام شارلي دموع وعبرات ، في حين أن غيره من المضحكين يبدأون بهلوانات وينتهون مهرجين في سوق القرية . وقد أستطاع بعبقريته الفذة أن يتربع على عرش " أعظم المضحكين في التأريخ .. " والسؤال الذي يتردد على ألسنة كل من فكروا في " شارلي شابلن " أو كتبوا عنه : لماذا بلغ هذه المكانة بين ممثلي عصره ومضحكيه حتى قيل - بحق - إنه أشهر ممثل سينما عرفه التأريخ ؟ .. والجواب كما قال واحد من أصدقائه الخلصاء : لأنه كان يبكينا في نفس الوقت .

عبقرية شارلي

شخصية المشرد على الشاشات

معتصم زكي السنوي

الضحك لذاته ليس بمشكلة شارلي شابلن لم يكن مجرد مضحك . لقد بدأ حياته بهلواناً في السينما . كان يقوم بحركات لطيفة مضحكة ، شأنه في ذلك شأن غيره من المضحكين ، ولكنه سرعان ما تطور واكتشف نفسه وطريقه. عرف أن الضحك لذاته ليس بمشكلة . أي مهرج في السيرك يضحكنا حتى تدمع عيوننا ، ولكنه يظل مهرجاً لا يستحق أكثر من القروش التي يتقاضاها. شارلي شابلن لم يقنع بذلك . تحول الى فيلسوف . أخذ شخصية الإنسان الطيب الغلبان المظلوم الذي يعمل في نفس الوقت على أسعاد الاخرين . أننا نضحك ونحن نشهد رواياته حتى القصيرة منها ، ولكننا نشعر أن هذا الإنسان الغلبان المضحك إنسان له قلب كبير . أنه رغم فقره يعطف على المساكين ويقاسمهم طعامه القليل . حتى " الجراج " المهجور الذي ينام فيه يستضيف فيه ناساً مساكين مثله ويقاسمهم فراش القش و " كوز " اللبن وكسرة الخبز.. في معظم رواياته الأولى نرى شارلي طريد المجتمع . أنه إنسان مفلس مسكين يطارده رجل البوليس لأنه متشرد .وهو متشرد لأنه طوال يومه يحاول أن يصنع الخير . أنه لا يعمل عاملاً في مصنع أو خادماً في مقهي أو في بيت ، لأنه ليس مجرد طالب لقمة عيش . ولكنه " إنسان " يفضل أن يطعم الناس على أن يأكل . في أحدى رواياته يسرق أصبع موز لكي يطعم به طفلاً جائعاً تحمله امرأة مسكينة على كتفها . بينما هو يسير وراء المرأة ويطعم الطفل والطفل يضحك وفجأة تلتفت المرأة وتصفعه على وجهه لأنه في سيره لمس ظهرها . ثم نري البقال الذي سرق منه أصبع الموز يستغيث بالبوليس ، ورجل البوليس الضخم يجري وراء شارلي المسكين والمرأة تقول أنه كان يعاكسها . تصور المصائب التي جرها هذا المسكين على نفسه لمجرد أنه إنسان طيب القلب. هنا نحن لسنا أمام مضحك بل أمام إنسان ، وهذا هو المهم في هذا الرجل ، أنه لم يقف عند حدود الأضحاك ، وهو عملية بسيطة، بل نفذ الى أعماق النفس البشرية .

البداية خلق الشخصية

شارلي شابلن ذلك الشاب الأنكليزي الذي هاجر الى الولايات المتحدة حوالي ١٨٩١ . حاول أن يعمل ممثلاً في نيويورك فلم يوفق ، وفي أواخر الحرب العالمية ذهب الى هوليوود حيث التقي برجل مهووس يسمى ماك سنيت تصور أنه يمكن أن ينشئ فناً من التصوير السينمائي وأنشأ ستوديو متواضعاً ومضى ينتج أفلاماً في غاية الهبوط والتفاهة ولكنه كان يبيعها ويربح فيها لأن السينما كانت شيئاً جديداً . ثم بدأ الرجل يعمل أفلاماً تدور حول نساء يرقصن ، أي أنه بدأ يستغل الجنس ، ونجح واغتني. أتصل به شارلي شابلن وبدأ يعمل له أفلاماً صغيرة مضحكة . هنا أبتكر شارلي شابلن شخصية شارلي شابلن ، والفرق بين الأثنين كبير . شارلي شابلن رجل مفكر ذو عقلية مالية . أنه يبحث لنفسه عن طريق في الحياة. أما شارلي شابلن فمخلوق خيالي من تأليف شارلي شابلن . مخلوق لطيف حقاً ومضحك حقاً . ملابسه نفسها في غاية الطرافة تسريحة شعره جميلة عجيبة ، وعيناه مستديرتان مكحلتان . على رأسه قبعة من طراز نصف الشمامة ، وهي قبعة رجال الأعمال وعلية القوم في ذلك العصر . قميصه في غاية البهدلة ولكنه يصر على أن يلبس رباط رقبة . جاكتته من نوع البونجور ، وبنطلونه زكيبة أو شوال . حذاؤه مهلهل من أسفل ومن أعلى . ولكن المجموع " على بعضه " قطعة فنية جميلة . في بعض الأحيان يبدو لك شارلي أنيقاً. هنا العبقرية أن تخلق شيئاً جميلاً متناسقاً له شخصيته . هنا يلتقي شارلي شابلن مع فنان مبدع مثله هو وولت ديزني الذي خلق من الفأر البغيض مخلوقاً لطيفاً طريفاً هو " ميكي ماوس " ، ومن البطة مخلوقاً بديعاً مضحكاً هو " دونالد داك " ، ذكر البط الذي يحاول أن يكون رجلاً محترماً عاقلاً ولكنه لا يستطيع لأن هيئته لا تسمح له بأن يكون محترماً . أولاده يعذبونه

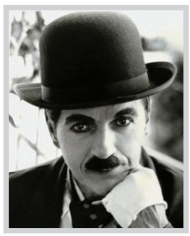

هناك من يقول أن الناس يعرفون كل شيء عن شارلي شابلن وأن مقالات كثيرة كتبت عنه منذ وفاته هذا حق ، ولكن أحداً لم يمس لب الموضوع ، فنحن لم نكتب هذا المقال عن شارلي شابلن لمجرد التحدث عنه وعرض بضع صور من أعماله، وإنما نحن فكرنا فيه ليكون درساً وعبرة لمن يتولون عملية الأضحاك عندنا في المسرح والسينما على الخصوص.

وهو دائماً غاضب عليهم، ونحن نضحك من محاولته الميئوس منها أن يكون مخلوقاً محترماً عاقلاً ... وشارلي شابلن لم يجعل من مخلوقه شارلي مجرد مضحك بل جعله رمزاً على الإنسان الغلبان الضعيف الذي يهاجمه المجتمع لأنه إنسان غلبان ضعيف . في رواية " الغلام " ذي كيد " نجد هذا المسكين يتبنى غلاماً يتيماً فقيراً ويتولى الأنفاق عليه . أنه يسرق ليطعمه . الولد نفسه في غاية الذكاء. أنه يكسر زجاج النوافذ بالطوب ثم يمر شارلي بعد ذلك يحمل زجاج نوافذ على ظهره لكي يصلح ما يفسده الصغير . يكتشف البوليس الحيلة ويطارد الأثنين . ما ألطف مطاردة البوليس لشارلي ! أخيراً يلجأ شارلي والغلام الى جراج مهجور . ينامان على القش . في الصباح يشكو الغلام الجوع. يخرج شارلي ليبحث عن طعام . يري بقرة في الحقل يبحث عن كوز ليحلب فيه لبناً يتبين أن البقرة ثور ، وهل يمكن أن يحلب الثور ! ولكنه يري بعيداً جردل اللبن الذي حلبته فلاحة من بقرتها . بكل حذر يقترب ، ويسرق شيئاً من اللبن. تراه المرأة وتستغيث وتبدأ المطاردة ولا بد أن يشترك فيها رجل البوليس الضخم ذو الشوارب ، ومن شارع لحارة ومن حارة لشارع يعرف شارلي كيف يوصل كوز اللبن الى الغلام في الجراج. هنا يظهر كلب لطيف من طراز الفوكس تريار ، أنه جائع أيضاً ويريد شيئاً من اللبن . لابد من العودة الى الحقل ليسرق شيئاً آخر من اللبن هذه مغامرة أخري نضحك منها ملء صدورنا. تساعده في سرقة الكوز الثاني من اللبن بنت غلبانة تعمل في الحقل . تهرب معه – هذا فم ثالث لا بد أن يطعمه شارلي . وتبدأ قصة حب إنسانية جميلة . شارلي والبنت والغلام والكلب . أربعة في غاية الظرف . في النهاية لا تتزوج البنت شارلي لأنه فقير جداً والبنات لا يتزوجن الرجل البالغ الفقر . بعـد أن يتشرد معها في الطرقات .

بعد أن يهلك نفسه في سبيلها تتزوج رجل البوليس ! لأنه رجل له راتب ومركز ، أما شارلي فلا شيء. هل هناك أجمل وأعمق من ذلك ؟

عبقرية شارلي تكمن في الأبتكار المبدع هنا تكمن عبقرية شارلي شابلن هذا الابتكار المبدع ، الإضحاك عن طريق الدموع لا عن طريق التهريج. هل تذكر رواية العصر الحديث؟

في هذه الرواية يمثل شارلي دور إنسان متعب يتعرف على رجل موسر سكير . هذا السكير يلقى شارلي وهو في حالة سكره فيحبه ويتخذه رفيقاً ويدعوه للسهر معه في نوادي الليل وينفق عليه بسخاء، فإذا أفاق لم يعرفه وأمر بطرده من البيت وشارلي المسكين لا يعرف ماذا يعمل . انه لا يستطيع لقاء صاحبه والفوز منه بشيء من المال إلا إذا كان صاحبه في حالة سكر. والطريف أن الغانيات اللائي يجلس معهن الغني يستظرفن شارلي ويتجمعن حوله. هذا يغيظ الموسر فيعلن الحرب على شارلي ويبلغ البوليس أنه لص.. وتبدأ مطاردة البوليس .. دائماً البوليس وراء الرجل المتعب.. هذه الأفكار والطريقة التي يلجأ اليها شارلي شابلن في تقديم شارلي للناس هي التي جعلت من هذا الرجل أكبر الهزليين في تأريخ السينما وأشهر ممثل سينما في التأريخ . هكذا يرتقي الإنسان بنفسه من مهرج الى فيلسوف الى شخصية عالمية . أمثاله : لوريل وهاردي وهارولد لويد وبستر كيتون والأخوة ماركس بدأوا مهرجين وظلوا طوال عمرهم مهرجين.. وذلك هو الفرق الجسيم بين شارلي وغيره.

محاولات تقليد شارلي

جرت محاولات التقليد لشخصية شارلي التي قام بها العشرات بل المئات دون أدني نتيجة . فيما بين سنة ١٩٢٣ و ١٩٣. ظهر نحو مائتي مقلد لشارلي شابلن. وظهر عشرات ممن حاولوا أبتكار شخصيات مماثلة من أمثال توربين وماركي وتوليو ومن اليهم وفكر كذلك في شخصيات فكاهية أخري كان لها بعض النجاح ولكنها مرت ونسيها الناس كأنها ظلال عبرت.

وهل تذكر لوريل وهاردي ؟ لقد نجحاً نجاحاً عظيماً، وأفلحا في استخراج الضحك من القلوب .. ولكن الضحك هنا كان سطحياً، معظم الضاحكين كانوا أطفالاً وغلماناً . وراء الحركة أو الصورة المضحكة لم يكن هناك شيء ذو قيمة. بعد أن تنتهي من فيلم لوريل وهاردي تنساه في الحال.

شارلي وولت ديزني

مثل ما يقال عن شارلي شابلن يقال عن عبقري مبتكر آخر هو وولت ديزني لقد أبتكر ميكي ماوس ودونالد داك وبامبي وجامبو وبلوتو وكلها أصبحت شخوصاً حية معروفة للناس جميعاً بأعيانها . كلها أصبحت حقائق لا مجرد صور . كلها أصبحت مثل هاملت وماكبث وفالسكاف وهي من صنع عبقري آخر هو شيكسبير . حاول العشرات تقليد وولت ديزني وأبتكروا شخصيات توم وجيري ووودي ناقر الخشب ولولو الجميلة وغير هذه كثير جداً. كلها أخفقت وتلاشت ولم تتعد حدود عالم الأطفال . أين هذا من شخوص وولت ديزني ؟ السر وراء نجاح شخصية ميكي ماوس هو أن الفأر– رغم كراهيتنا أياه يمثل المخلوق الضعيف الذي يتغلب بالحيلة والذكاء على القط المفترس هنا أيضاً نجد فكرة الإنسان المغلوب أو الكلب الأضعف. The Under Dog التي تمس القلوب وتعطي للشخصية عمقاً إنسانياً يخرج بها عن نطاق مجرد الضحك الى مجال الفلسفة. لهذا عاش ميكي ماوس لا على أنه فأر بل على أنه رمز . لهذا تخطي نطاق الأطفال لأنه دخل ميدان الإنسانية والإحساس الرفيع.

رؤية إجمالية

هناك من يقول أن الناس يعرفون كل شيء عن شارلي شابلن وأن مقالات كثيرة كتبت عنه منذ وفاته هذا حق ، ولكن أحداً لم يمس لب الموضوع ، فنحن لم نكتب هذا المقال عن شارلي شابلن لمجرد التحدث عنه وعرض بضع صور من أعماله، وإنما نحن فكرنا فيه ليكون درساً وعبرة لمن يتولون عملية الأضحاك عندنا في المسرح والسينما على الخصوص. نريد أن نقول لهم أن المسألة ليست مسألة أضحاك والسلام ، المسألة ليست مسألة إلقاء نكت والقيام ببضع حركات تضحك السطحيين والذين يستطيعون أن يضحكوا على أي شيء، لأنهم لا يعرفون من الضحك إلا صوته المسألة ليست مسألة بهلوانية وصبغ الوجه بالجير ولبس طربوش ينزل الى الإذنين وبنطلون لا يصل إلا الى الركبة. المسألة أعمق من ذلك بكثير .. نريد أن نقول أنه إذا كان ولا بد أن يكون عندنا فن– مضحك أو غير مضحك فينبغي أن يكون له عمق . ينبغي أن تكون له قيمة إنسانية – ينبغي أن يتخطى نطاق الأضحاك الى مجال الإحساس الإنساني . ما الذي نفيده إذا نحن أتينا بشخصية بلدية وسميناها حنكش وألبسناها لبساً مضحكاً وجعلناها تطلق كلاماً جافياً غليظاً يجعل المتفرج يشعر أن الإنسان البلدي إنسان سمج سخيف جاهل وقليل الذمة أيضاً؟ هل هذا معقول ؟ هل هذا مبرر كاف للأضحاك؟

المثل الكبير الذي أضربه للعاملين في ميدان الأضحاك هو نجيب الريحاني . نجيب الريحاني بدأ بكشكش بك وأنتهي فيلسوفاً . بدأ مهرجاً وأنتهي مفكراً وإنساناً .. الآخرون عندهم ملكات ربما كانت لا تقل عن ملكات نجيب الريحاني ، ولكنهم وقفوا عند حد الأضحاك وقنعوا بذلك والنتيجة أنهم تدهوروا. بدأوا مهرجي مسارح وانتهوا مهرجي أسواق القرى.. في ذهننا أسماء وأمثلة ، ولكننا لا نريد أن نجرح شعور أحد ، لأن هذه ليست وظيفتنا ، وظيفتنا أن نعلم ونثقف وننبه مع الاحترام الكامل لمشاعر الناس وأقدار الناس. للمفكر الألماني " برتولدبريخت " قول : " تعيسة هذه البلاد التي بحاجة الى بطل " . وهذا يعني أن الإنسانية بحاجة في هذا العصر " لإنتاج مثال إيجابي " كشارلي أو الريحاني ليعيدا ضحكة الطفولة في العيون التي قيحتها دموع البؤس والحزن .

سوف يبقى إلى الأبد في ذاكرتنا ذلك الضئيل الجسم الذي اضحكنا حتى سالت من عيوننا الدموع ، وهزتنا صعلكته أيام السينما الصامتة ، انه اليساري النزعة الذي عاش في كنف الرأسمالية واستلهم من الفقر والطفولة المنكوبة التي كانت تقبع في شوارع لندن الخلفية مناظر مؤلمة لأفلامه ومسرحياته ،
وكان يفترض ان رثاءه لاينقطع طالما ظلت هذه الصور الكئيبة تحاصره مذ كان في السابعة عندما سقط والده ميتا بسبب ادمانه للكحول ، ودخوله دار الايتام على ذمة القضية نفسها والتي كان يقول عنها وعن حياته دائما انها « ديكنزية النمط» × لايعلم متى يغادرها .
في احدث كتاب للطبيب النفسي المعروف الدكتور « ستيفن وايزمان» قال ان مصدر الحزن الحقيقي لشابلن لم يكن في فقدان والده فقط بل في فقدانه لوالدته بالدرجة الاولى ،

أسرار في حياة شابلن

أمي اطلقت عبقريتي

احمد فاضل

لأن الذي فقده في «هانا « لايعوض ، وقد زعم وايزمان ان هانا ونتيجة للفقر الذي عانت منه عملت كمومس في شبابها وتحملت نتيجة ذلك عواقب مأساوية على المدى البعيد ، وقد أصيبت بالزهري وهو مرض لايمكن الشفاء منه بسهولة في أواخر القرن التاسع عشر وأدى الى جنونها كما يشهد ذلك شابلن نفسه عندما كان في التاسعة عشرة من العمر ولم يكن قادرا على نسيانها . شابلن في سيرته الذاتية الخاصة التي نشرت عام ١٩٦٤ كان قد ضم فصلا مؤثرا جدا عن عذابات طفولته في جنوب لندن حيث نسب ان الإضمحلال العقلي لوالدته والسجن لاحقا ناتج عن سوء التغذية لانها حرمت على نفسها الكثير من المواد الغذائية من اجل إطعام اطفالها ، وهناك الكثير من التفاصيل لم يكشف عنها في سيرته لانها وكما يقول شابلن يخجل عن ذكرها . لكنها ومع كل ذلك الحب الذي يكنه لها شابلن الابن لم تكن زوجة وفية كما كان يقول ، اذ سرعان ما تركت والده مرة اخرى مع شخص اكثر شهرة هو (ليو درايدن) بعد ان انجبت ابنا ثالثا . هانا الآن لديها ثلاثة اولاد من ثلاثة رجال وبعد ان هجرها درايدن اضطرت لقبول وظائف صغيرة في المسارح لإطعام طفليها حتى انها باعت ملابسها لدفع ايجار الشقة التي كانت تسكنها ، وتفاقمت عليها الامراض حتى داهمها صداع نصفي سبب لها العمى المؤقت رافقه هلوسات مرعبة واستمر حالها هذا قرابة شهر كامل جعل من المستحيل بالنسبة لها الاعتناء بهؤلاء الفتيان فنقلتهم الى ملجأ للأيتام ولما تعافت عادت اليهم لتأخذهم من ذلك الملجأ الذي قال عنه شارلي انه يكرهه أشد الكره لكنه لاحظ تغيرا قد طرأ على والدته فبدت اكثر هدوءا وكياسة عن ذي قبل ، فعكفت على قراءة الكتاب المقدس في محاولة منها لمحو ذنوبها وتناولها للدين كمخرج من امراضها واعتلال صحتها ، تشارلي بطبيعة الحال لم تكن لديه فكرة وهو في السابعة من العمر عن هذه المرحلة المهمة التي تمر بها والدته ووفقا لكاتب سيرته الذاتية فقد حاولت هانا ان تخفي سر مرضها الذي كشفته السجلات الطبية المعاصرة ، حيث تم في عام ١٨٩٨ تشخيص حالتها على انه « السفلس « تصاحبه نوبات من شرود الذهن خاصة في مرحلته الثالثة كما تؤكد هذه السجلات . وايزمان قال ان الزهري من شأنه ايضا ان يكون قد سبب لها صداعا رهيبا لأنه هو ايضا من اعراض المرض ، ولأن هانا تركت نفسها دون علاج فان هذا المرض من شأنه ان يحدث خسائر كبيرة لديها ، الا انها ناضلت من اجل اطفالها وارسلت رسالة الى شارلي الأب تبلغه بحالها فأحس بتقصيره وخصص لها مبلغا شهريا تعتاش عليه بجانب ماكنة الخياطة التي كانت تساعدها كمورد مالي آخر للعيش ، واستأجرت لها ولاولادها غرفة علوية رخيصة بجوار المسلخ في لندن كيننجتون ، هذا الى جانب تشارلي الشاب الذي كان يساهم في دخل الأسرة عن طريق ما كان يقدمه من اعمال . لم تكن الايام القادمة باسعد من سابقتها فقد توفي والده عام ١٩٠١ نتيجة لتليف كبده عن عمر يناهز الـ ٣٧ عاما ودفن في مدافن الفقراء ، بعد ذلك بعامين اصيبت والدته بانهيار عصبي ونقلت الى المستشفى فقد ازدادت عليها وطأة المرض حتى كانت تهذي وكان كل من رآها يحسبها سكرانة لفرط تمايلها وعدم سيطرتها على جسدها المترنح ، لم يكن امام شارلي سوى العمل بعد بلوغه التاسعة عشرة من العمر لإنقاذ نفسه واخوته من هذا البؤس وفي غضون عام وجدها تجول في الشوارع مرة اخرى فاعادها الى المستشفى ، انها الآن اكثر شفقة وتشارلي بالكاد يتحمل زيارتها لأن منظرها يصيبه بالألم ومع كل تلك المعاناة فقد القى بنفسه في العمل وساح البلاد ومر على قاعات الموسيقى ليتعلم منها كيف يمشي ويمزج تلك الحركات الكوميدية التهريجية بايقاعات موسيقية سريعة ، وعلى الرغم من انه تعرض لنكسات عديدة في كثير من الاحيان وصادف معارضة واستهجانا من هنا وهناك الا انه وفي النهاية استطاع ان يسقط على عقد مربح مع منتج كبير يدعى (فريد كارنو) وكون موهبته ليست في موضع شك فقد تأثرت علاقاته مع النساء بشكل دائم فلم تكن لديه أية فكرة عن كيفية معاملة البنات الا مع « بيكادللي « المومس اللعوب ، لم يكن حبا بقدر ماكان قضاء وطر لكنه واخيرا سقط في حبائل عارضة الازياء « هيتي كيلي « عام ١٩٠٨ وصرح لها انه خائف من هذا الحب فقد يشغله عن مشواره الفني الذي بدأه خطوة خطوة ، فرفضته كيلي فقرر ان يسافر الى اميركا بعد ان حصل على تذكرة سفر واوصى شقيقه الاكبر برعاية والدته واشقائه كانت هذه آخر ايامه مع فريد كارنو الذي لم يستطع ان يجمع معه ثروة تحقق ماكان يصبو اليه من شهرة ومجد . عندما لاحت له احواض مانهاتن عرف انه في اميركا اخيرا فرفع قبعته وهو على السفينة التي اقلته ملوحا وصاح : (اخيرا ..اميركا ..أنا قادم اليك لاجعل على شفاه كل رجل وامرأة وطفل اسمي .. تشارلز سبنسر شابلن.

كانت امريكا حلمه الكبير فقام بجولة من الساحل الى الساحل وما ان حل العام ١٩١٢ حتى كان لقاؤه مع المنتج الاسطوري « سينتت « الذي كان يدير ستديوهات « كيستون « الشهيرة في نيويورك ، فجذبه عن طريق مضاعفة راتبه وهكذا في يوم ممطر وعاصف وفد على شركة كيستون شابلن بجسمه الهزيل وقبعته التي لم تغادره ابدا مفتتحا اول أفلامه الصامتة وبهيئة جاذبة للضحك مع الكوميدي « ماك سوين « وبشارب مصطنع وسروال طويل يستقر على حذاء كبير لايتلاءم مع حجم قدمه الصغير ، وعصا يهزها كلما وقع في مأزق وعندما نظر الى نفسه في المرآة وجد ذلك التحول الكبير الذي من شأنه ان يجعل له شهرة عالمية لم يكن يحلم بها . شابلن كان يعلم في دواخل نفسه ان ذلك الصعلوك الصغير سوف يتمكن اخيرا من قلوب الناس الذين سيفدون لمشاهدة هذه الروح الفكاهية وتلك التعابير الانسانية التي تشكّلت منذ طفولته المضطربة مستعيدا تلك اللحظات التي عاشها في قاعات الموسيقى الإنكليزية وشعوره الحاد بالخسارة عندما فصلته الحياة عن والدته . كان العام ١٩٢١ عاما مميزا حيث حقق شابلن ما كان يصبو اليه من شهرة فقد حققت افلامه ما لم تحققه اية افلام اخرى حتى كانت صالات العرض تغص بالمتفرجين لرؤية هذه الظاهرة المملوءة ضحكا والمزوجة حزنا ، وهو في زحمة الشهرة هذه لم ينس والدته واخوته فحاول ان يجمع شملهم معه فنجح في مسعاه على الرغم من فقدان شقيقه الثالث « ويلر « لكنه وجد السعادة اخيرا فاشترى لوالدته منزلا في ولاية كاليفورنيا وخصص لها من يتابع شؤونها ويقدم الرعاية الكاملة لها . كانت افلامه كما يقول وايزمان في سيرته له مجرد محاكاة لمعاناته ففي عام ١٩٢٥ قدم فيلما يكاد يكون وحيا لما عاشته والدته في جنوب افريقيا ، مازجا بين البحث عن الذهب وتلك الحياة التي كانت تحياها ويعيشها العشرات امثالها ، وكان لفيلم « اضواء المدينة « صداه الواسع في قلوب من احب شارلي شابلن وهو في غمرة افراحه بانتصاراته فجع بوفاة والدته عام ١٩٢٨ عن عمر ناهز الـ٦٥ عاما والتي كان لها الأثر الكبير في إبراز طاقاته المكنونة وعبقريته ، وبعد كل الذي عاناه لم يستطع شابلن ان يستقر في حياته خاصة العاطفية منها حتى بعد انقضاء سنوات على زواجه الأول فتزوج ثلاث منهم « ملدريد هاريس « التي استمر معها ١٦ عاما و « لينا غراي « و « بوليت غودار « لكنه في النهاية اعاد الحياة الأسرية الى سعادة جديدة ففي عام ١٩٤٣ تزوج من الشابة « أونا « ابنة الكاتب المسرحي الكبير « يوجين أونيل « وأنجب منها ثمانية اطفال واحدة منهم هي « جيرالدين « النجمة الكبيرة فيما بعد . الدكتور وايزمان وهو يطوي آخر اوراق كتابه عن شابلن قال : (استثنائية شابلن قد تدمي القلوب لكنها اشجع من كل الوجوه التي عرفتها ، انها تختبئ خلف قصة حقيقية مخيفة كانت نهايتها كوميديا جميلة عشناها مع هذا الكائن شارلي.

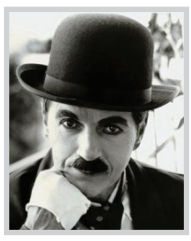

كانت امريكا حلمه الكبير فقام بجولة من الساحل الى الساحل وما ان حل العام ١٩١٢ حتى كان لقاؤه مع المنتج الاسطوري « سينتت « الذي كان يدير ستديوهات « كيستون « الشهيرة في نيويورك ، فجذبه عن طريق مضاعفة راتبه وهكذا في يوم ممطر وعاصف وفد على شركة كيستون شابلن بجسمه الهزيل وقبعته التي لم تغادره ابدا مفتتحا اول أفلامه الصامتة وبهيئة جاذبة للضحك مع الكوميدي « ماك سوين « وبشارب مصطنع وسروال طويل يستقر على حذاء كبير لايتلاءم مع حجم قدمه الصغير ، وعصا يهزها كلما وقع في مأزق وعندما نظر الى نفسه في المرآة وجد ذلك التحول الكبير الذي من شأنه ان يجعل له شهرة عالمية لم يكن يحلم بها .

شارلي شابلن ينتصر على النازية

حميد كشكولي

و أخيرا ؛ قبل عدة أشهر عرضت دور السينما في السويد فلم " الدكتاتور الكبير" The Great Dictator بعد منعه لعشرات السنين لأسباب سياسية . فقبل هذا التاريخ سألتُ كثيرا سواء في المكتبات العامة أو مكتبات الكليات في سبيل الحصول على نسخة من هذا الفلم ، ولكن دون جدوى .

تم تقديم فلم الدكتاتور لأول مرة في ١٥اكتوبر/ تشرين الاول ١٩٤٠ في نيويورك ، فظهر الدكتاتور امام عيون المشاهدين المذهولة ، وكان شابلن كله عالم خلق وإبداع . لقد كان فلم " الدكتاتور " مهمّا من وجهات نظر مختلفة .فأولا ، كان مهما من الوجهة التاريخية ، لأنه رغم إخراج أفلام عديدة قبل هذا الفلم تتناول الشمولية النازية والفاشية ، إلا أن "الدكتاتور " كان أول فلم يحقق تأثيرا أخلاقيا ونجاحا كبيرا وشاملا.

وقد شاهدت في برنامج وثائقي عن هتلر يؤكد على أنه كان يشاهد هذا الفلم و يضحك .

كثرما يقال أن السينما الأمريكية تتناول قضايا الساعة ، لكن " الدكتاتور " كان قمة النجاح . و قال البعض إن فلم شابلن – السينما– قد أبدع الحقيقة مثلما كان " الدكتاتور "مهما بنفس الدرجة في أعمال شابلن . لقد كان شابلن مصمما بعد آخر أفلامه قبل "الدكتاتور" الصائتة لكن غير الناطقة " العصر الحديث" ١٩٣٦ أن يحقق أعمالا اكثر روعة : سواء فيما يتعلق بالانتقال إلى الأفلام الناطقة أو بالنهاية المأساوية لذي الشاربين الصغير بعصاه الدوار وفردتي حذائه الواسعتين .

فقام أغنى وأشهر فنان في تلك الفترة بانقلاب عبقري وأعلن انه سيقوم بقتل شابلن الصغير في سبيل خلق شابلن الكبير . ويلخص شابلن هذه الفكرة بنفسه : (أن "الدكتاتور " أول فلم لي تكون قصته أكبر من المشرد الصغير) ويا لها من قصة !!

يقال إن شارلي شابلن أحس مبكرا بالقلق من التطورات التي صاحبت الأحداث في أوروبا. فإثناء التهيئة لفلم الدكتاتور طلب شابلن من معاونيه والممثلين العاملين معه في الفلم أن يشاهدوا الأفلام الوثائقية عن النازية والفاشية ويطالعوا المطبوعات الألمانية ويطلعوا على صور المقر الجديد للصدر الأعظم في برلين والمصمم من قبل هتلر ، وأن يشاهدوا

فقام أغنى وأشهر فنان في تلك الفترة بانقلاب عبقري وأعلن انه سيقوم بقتل شابلن الصغير في سبيل خلق شابلن الكبير . ويلخص شابلن هذه الفكرة بنفسه : (أن "الدكتاتور " أول فلم لي تكون قصته أكبر من المشرد الصغير) ويا لها من قصة !!

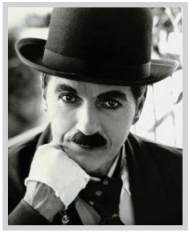

تصاميم اسبير معمار الرايخ الذي تعود سنة بنائه إلى ألف عام ، وذلك لكي يطلعوا عن كثب على كيفية صعود هذا الغول ويتمكنوا من جمع الصور المفيدة لبناء الديكورات والأزياء التي يتطلبها إخراج الفلم .

ففي القسم الأول من الفلم يكرر شابلن نداءاته للسلام التي أطلقها في فلم "شارلي الجندي " ١٩١٨.

هكذا مرة أخرى نواجه القباحة: رجل يثير ضحك العالم ، يصدر فرامين بانه لم يعد هناك ما يضحك : أو الأصح الضحك خطر.

و السخرية من الدكتاتور تصل القمة حين تنفجر الكرة الارضية بين يديه حين يلمسها ، و نرى الدكتاتور كذلك العديد من المرات ينطح المايكروفون دون ارادة منه اثناء خطاباته الزاعقة .

أن ما هو حقا مضحك ينبع من التراجيديا .

يقول في مذكراته : أسلو بي كان بسيطا لإثارة هياج الجمهور في أفلامي الكوميدية ، كنت اخلق لشخصياتي الصداع ثم اطردها .

لكن الصداع في الدكتاتور كان عالميا.

كما يقول : أتتني الفكرة فجأة . طبعا كان بإمكاني إزعاج الناس بخطابات هتلر النارية وعديمة المعنى وان أقول كل شئ وان أبقى صامتا في دور شارلي "الحلاق اليهودي " نوعا ما.

انه حقا بإدخاله المشرد الصغير في التاريخ يخاطب الإنسانية . لقد أدرك شارلي ١٩٤٠ ببعد نظره انه بمواجهته هتلر يخطو باتجاه الإنسانية وانه جرب صعوبات تصوير عالم أنكره الملاذ والمأوى .

تلك مسألة يضطر شابلن شرحها : لقد كنت مصمما على المضي في عملي ، لأنه يجب الضحك على هتلر . لقد خلقت "الدكتاتور" لأني اكره الدكتاتوريين ، وانه يمكن الضحك على كل شئ ، حتى الموت ، لكن ليس على كل شخص . والجدير بالذكر أن هذا الفلم لم يعرض في بعض الدول الأوروبية ومن بينها السويد إلا بعد سقوط هتلر ، إذ أن وزير الدعاية النازي غوبلز قدم تحذيرا إلى حكومة السويد في تلك الفترة من عرض الفلم على شاشات السينما في السويد.

والتساؤل المهم و لكن المؤلم في الوقت ذاته ، هو ، هل من مخرج عراقي يمكنه تصوير جماليات القبح في دكتاتورنا المقبور – قريبا– ؟

ألم ينجز الفنانون و الكتاب الالمان أعمالهم العظيمة في المنفى ؟ فما ذا دها الفنانين العراقيين ؟ ألا تستحق مأساة شعبهم فلما عالميا ، أما كان ممكنا تصوير مشاعر أم منكوبة بفلذة كبدها ، أن يشاركها العالم مصيبتها عبر مسرحية ، أو رواية قي مستوى العالمية؟.

مغامرة شارلي شابلن وصوفيا لورين السينمائية

بعد انتهائه من كتابة ونشر سيرته الذاتية بدأ شارلي شابلن في عام ١٩٦٤ الاستعداد لاخراج فيلم " كونتيسة من هونغ كونك " ،الفيلم الذي قال عنه شابلن :"لقد استلهمت قصة" كونتيسة من هونغ كونك" من رحلة قمت بها الى "شنغهاي" في عام ١٩٣١، وهي الرحلة التي اتاحت لي فرصة التعرف على عدد من المهاجرين الروس، الذين كانوا جميعهم من الارستقراطيين الذين قد فقدوا كل شئ ، ابتداء من وطنهم ...كانوا يعيشون حياة تعيسة، فالرجال كانوا يعملون في جر عربات النقل باليد، اما النساء فكن يكسبن قوتهن بالعمل في مجالسة الزبائن في المراقص الحقيرة.

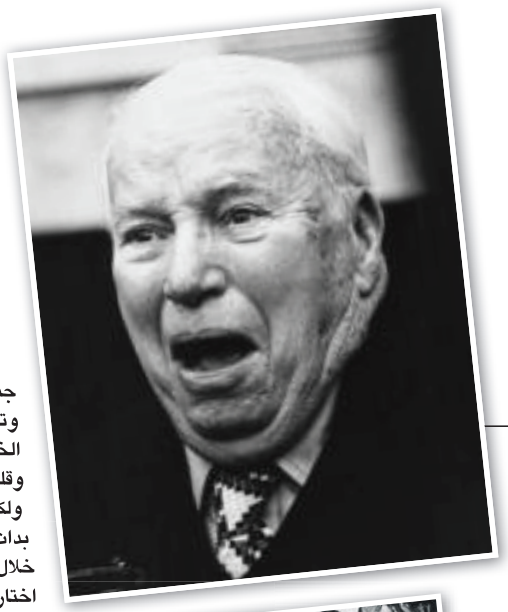

محمد علوان جبر

وعندما انفجرت الحرب العالمية الثانية كان معظم هؤلاء الارستقراطيين قد قضوا نحبهم كان اولادهم قد انتقلوا الى هونغ كونك حيث لاقوا مصيرا اكثر بؤسا بسبب ازدحام المدينة باللاجئين... هذا هو الاطار الخلفي الذي استخدمته في فيلمي. وقد حاولت أخراج فيلم الكونتيسة باكثر الاساليب صرامة لاضفاء جو واقعي على الموقف، انه فليم كوميديا رومانسية ولكنه مع ذلك ليس من طراز عتيق، فالرومانسية مازالت مطلوبة مثلها مثل الجنس والحب وعلم النفس، فهي الشرط الضروري للانسانية وبدونها لاقيمة للحياة "....

كان شابلن قد عاد الى الصين في عام ١٩٣٦ بعد العرض الاول لفلم "العصور الحديثة" بصحبة الممثلة "بوليت غودار" حيث تزوجا في مدينة كانتون بسرية تامة. مكث الزوجان في هونغ كونك لبعض الوقت ثم عادا الى سان فرانسيسكو....وفوق الباخرة التي استقلاها التقيا الشاعر/ السينمائي "جان كوكتو" الذي كان يقوم بجولة حول العالم كمراسل لصحيفة فرنسية . ويشير ابن شابلن الى أن والده قضى في اعقاب تلك الرحلة عدة اسابيع في كتابة سيناريو خصيصا لبوليت غودار ضمنه دورا سينمائيا لها ... وكان بطل القصة مليونيرا شابا يقوم برحلة سياحية في الصين ، يلتقي خلالها بمهاجرة روسية بيضاء تعمل في مرقص ، وتنشأ بينهما قصة حب . ويضيف ابن شابلن " ... لقد كتب والدي السيناريو واضعا في ذهنه اسناد بطولته الى الممثل "غاري كوبر" ، لشدة اعجابه به ، لاكممثل جيد ، وانما لانه لم يكن يحاول التمثيل . كان والدي متحمسا لهذا السيناريو ولكنه لم يستطع ان يمنع نفسه من كتابة سيناريو فيلم جديد عن هتلر ..." ان الاحداث السياسية العاصفة بعد منتصف الثلاثينيات دفعت شابلن الى الانشغال بفيلم "الدكتاتور" وتخلى عن فيلمه "الصيني" بعد ثلاثين عاما قرر شابلن العودة الى المشروع ، لكن كل شيء كان قد تغير .... شابلن انفصل عن غودار ، و غاري كوبر في عالم الخلود ، صورة العالم تغيرت كثيرا ، لذا عمد شابلن الى ادخال الكثير من التعديلات على القصة والسيناريو والشخصيات . جرى تصوير الفيلم في استديوهات "باين ود" في لندن ومولته شركة "يونيفر ساد" التي وفرت الامكانيات الهائلة لشابلن من اجل تحقيق المشروع . وتجدر الاشارة في هذا المجال ، الى أن شابلن كان سيرفض تصوير فلمه في هونغ كونك او فوق سفينة حقيقية ، إذ أعلن مرارا انه يحتاج دائما الى تصوير افلامه في الاستوديو ، لان ذلك يتيح له فرصة كافية للتركيز. لم يسمح بزيارة البلاتوة سوى مرة لعدد قليل من الصحفيين والسينمائيين الذين أكدوا حرص شابلن كمخرج على ادق التفاصيل ، يتوتر احيانا لكنه في نفس الوقت لطيف المعاشرة، يراقب كل صورة ويشرح بلا كلل ما يريده من العاملين معه. بلغ مجموع الفترة التي عملتها "صوفيا لورين" مع شابلن اربعة عشر اسبوعا، اضطرت خلالها للسفر الى مدينة "كان" لبعض الوقت في مايو ١٩٦٦ للاشتراك في عضوية تحكيم المهرجان. وقد منعتها ظروف حملها عن حضور العرض الاول للفيلم في باريس، وبعثت برقية الى المخرج قالت فيها :"كنت اعتقد انني على علم بكل ما يتعلق بمهنة التمثيل، لكنك علمتني كل شئ .... كنت اعتقد انني ممثلة جيدة، ولكني في واقع الامر كنت اكتفي بالظهور وتخليص نفسي بالامكانيات التي تتيحها لي بعض الخبرة، لقد علمتني فن التمثيل بجسمي وروحي وقلبي.

ولكني كنت في الواقع فتاة صغيرة... واليوم بدات ادرك تماما ماهو الدور الجيد... لقد عشت خلال ثلاثة اشهر تحت سحر لايمكن وصفة "...

اختار شابلن لندن مقر للعرض العالمي الاول لفيلمه، في سينما "كارلتون" في ١٩٦٧/٩/٥ بحضور الكسندرا دوقة كنت. وقد شهد شابلن العرض مع زوجته وثمانية من اولاده، وبدا مبتسما... ومع ذلك فقد سئل لماذا يبدو متوترا، ورد شابلن بعبارة من فيلمه "مسيو فيردو" :" انني اشعر وكانني انتظر وضع راسي تحت المقصلة وكل شيء على مايرام طالما ان سكين المقصلة لم تسقط بعد ... " .

لقد سقطت السكين في نفس تلك الليلة، وصدرت الصحف البريطانية في اليوم التالي بعنوان اكبر فشل لشابلن" .... إذ اجمع نقاد الصحف اليومية، من اليمين الى اليسار، على مواجهة الفيلم.... وكان عنوان احداها" شارلو في البحر" ، اما صحيفة "ديلي ميرو" فقد صدرت بعنوان" امر مؤسف:اين اختفى شابلن؟" .ولاشك ان "فليكس بارك" كان يعبر عن اراء اغلبية النقاد البريطانيين حينما برر هذا الحكم بالاعدام بقوله في احدى الصحف قائلا :" ظننت اني لمدة ساعتين اني عدت الى عام ١٩٣٠.... وقد يمكن ان تكون العودة في تلك الفترة شيئا ساحرا لولا التكنيك المستخدم، فهو ايضا تكنيك تلك السنة.... انه عمل انجزه رجل كان مخرجا عبقريا، لكنه لم يعرف طريق التطوير مع وسيلة التعبير التي استخدمها ." والحقيقة، انه لايمكن انكار الحقيقة ان السيناريو المكتوب في سنة ١٩٣٧ يحمل بعض بصمات الثلاثينيات رغم التعديلات الكثيرة التي ادخلت عليه بعد ذلك... وتحذو حبكته بالضبط حبكة الافلام الكوميدية الامريكية الخفيفة التي حدد المخرج "فرانك كابر" شكلها في فيلم "حدث ذات ليلة" عام ١٩٣٤ .لقد عالج اكثر من عشرين أو ثلاثين فيلما بعد ذلك نفس الدقيقة ويكشفان انهما وقعا في حب بعضهما قبل النهاية السعيدة بقليل ويتم الزواج حيث ان احدهما بالضرورة من اصحاب الملايين.

ويمكن بالفعل تلخيص سيناريو اخر افلام شابلن على الوجه التالي :عندما يغادر دبلوماسي امريكي مليونير (مارلون براندو) مدينة هونغ كونك، يكشف في دولاب غرفته ـ على ظهر الباخرة ـ وجود كونتيسة روسية (صوفيا لورين)، لاتحمل جواز سفر وتسعى الى الهروب من المدينة ومن مهنة الدعارة.... ويفكر الدبلوماسي في الابلاغ عنها لكنه يعدل عن ذلك ويقرر اخفائها، ليكتشف بعد ذلك سلسلة من مواقف سوء التفاهم أنه يحبها ... وفي النهاية يهجر زوجته وعمله ويقرر العيش مع تلك الكونتيسة الجذابة التي كانت تجالس الزبائن في ملهى حقير.

بعد اسبوع من العرض المأساوي "في لندن، عرض فيلم "الكونتيسة" في دار اوبرا باريس في حفل كبير. وقد بدا واضحا قبل بداية العرض، ان الفرنسيين يريدون رد اعتبار للسينمائي العظيم الذي اهانتة الصحف البريطانية. لقد تجمهرت اعداد غفيرة من الناس امام باب المسرح لتحية شابلن وعائلته، وعندما ظهر امام مقعد المقصورة تحت السقف الذي زينه برسومه الفنان "شاغال" ، نهضت الصالة باكملها للترحيب به والهتاف له كانت بداية حماسية ومشجعة... وقد احس كل من تابع ـــ مع شابلن ـــ رد فعل الجمهور خلال الدقائق العشرين الاولى بان المشاهدالاولية للفيلم استقبلت بأدب أو مجاملة، لكن عندما بدأت مواقف سوء التفاهم الكلاسيكية وتكررت كثيرا، وعندها شعر شابلن بأنه كسب جولة، إذ لم يكن التصفيق الحاد والطويل على سبيل التحية للفيلم عند انتهائه، وأنما كان تصفيقا حماسيا وصادقا. لاحقا شاهد شابلن الفيلم في لندن مرة ثانية مع متفرجين عاديين.... هذه المرة، كان ردة فعل الجمهور الحماسي

يمكن بالفعل تلخيص سيناريو اخر افلام شابلن على الوجه التالي :عندما يغادر دبلوماسي امريكي مليونير (مارلون براندو) مدينة هونغ كونك، يكشف في دولاب غرفته ـ على ظهر الباخرة ـ وجود كونتيسة روسية (صوفيا لورين)، لاتحمل جواز سفر وتسعى الى الهروب من المدينة ومن مهنة الدعارة

اثناء استقباله في امريكا

شارلي شابلن والسـريالية

في الخامس من فبراير ،١٩٢٠ جاءت حشود هائلة إلى Grand Palais بباريس لتشاهد شارلي شابلن. و قد أشيع وقتذاك أن شابلن قد تحول مؤخرا إلى الدادائية (وهي حركة أدبية و فنية فوضوية اعتبرت نفسها ضد كل شيء حتى الفن) و أنه قد جاء إلى فرنسا ليمثل مع أصدقائه الجدد كجزء من برنامج صالون المستقلين. غير أن الحشود أصيبت بخيبة أمل شديدة عندما لم تشاهد نجمها المحبوب شابلن أو شارلو (كما كانوا يسمونه) بل وجدت أمامها مجموعة من الدادائيين الذين خدعوا الجمهور بنشر تلك الشائعة، و راحوا يتلون بنبرة رتيبة، و في وقت واحد، أربعين بيانا أدبيا و فنيا. على نحو تهكمي، أدى غضب الحشود إلى حدوث مشهد، لا بد و أنه قد أثار البهجة عند شابلن،

ترجمة شيماء سامي

إذ بدأت الحشود في رشق الواقفين على خشبة المسرح بالقطع المعدنية و الطماطم، و الحدث تطور إلى شجار صاخب على طريقة كوميديا ماك سينيت الضاحكة. في تلك اللحظة، لم يكن شابلن متواجداً في أي مكان من فرنسا، بل كان منهمكاً في إخراج فيلمه الطويل الأول " الصبي" The Kid .

لقد خلق شابلن شخصية المتشرد في العام ،١٩١٤ و سرعان ما اشتهرت هذه الشخصية و أحرزت شعبية هائلة، لكن احتاجت إلى وقت حتى تحرز القبول و التعاطف عند النخبة المثقفة.

وهذا ما أكده الشاعر روبير ديسنوس في الجريدة السوريالية " وثائق" إذ قال:» رغم أن حركتنا الطليعية لم تكتشف شارلي شابلن إلا بعد أربع أو خمس سنوات من تعرف رجل الشارع عليه، إلا أنها أخذته و آوته في قلبها".حتى مارسيل بروست قام بتشذيب شاربه بحيث يماثل شارب شابلن.

لماذا سعى الدادائيون (الذين تحول أغلبهم إلى سورياليين بعد سنوات قليلة) إلى اعتبار شابلن واحدا من مجموعتهم؟ أندريه بريتون، لوي أراغون، فيليب سوبو- مؤسسو السوريالية- كانوا معجبين جدا بشابلن و اعتبروه " سورياليا على نحو موضوعي".

وبريتون رأى وعد السوريالية في أفلام شابلن الأولى " حيث للمرة الأولى تتفجر السخرية من الحياة الحديثة في روح مجردة من المرارة، كما في أعمال ماك سينيت الكوميدية، التي هي من أكثر نتاجات السينما غموضا حتى الآن".

في البيان السوريالي الثاني، وضع بريتون شارلي شابلن جنبا إلى جنب مع ماركس، فرويد، تروتسكي ورامبو كثوري حقيقي و أصيل.

أراغون كتب قصيدتين من قصائده المبكرة عن النجم شارلي شابلن، و رواياته " قروي باريس" (١٩٢٦) يمكن اعتبارها تحية إجلال وتقدير للمتشرد.

فيليب سوبو، مثل أراغون، كتب " قصائد سينمائية "- حسب وصفه لها- عن شابلن، كما كتب مقالة في ،١٩٢٨ وسّعها في ما بعد و نشرها في كتاب، و فيها أكّد أن شابلن هو " بطل زمننا ".

الطليعية الفرنسية كانت سبّاقة في أخذ شابلن بجدية كفنان. كانت أعماله التهريجية، المتسمة بالخشونة، تسليهم و تضحكهم، و لم ينظروا إليها بوصفها دعابات فحسب بل رأوا فيها شعرا عبثيا كانوا يسعون إلى مضاهاته، و لم يضيعوا وقتا في التنظير له.

لوي ديلوك، الذي أسس أول جمعية سينمائية في العالم، و ذلك في العام ،١٩٢٠ ألف أول دراسة بحجم كتاب عن النجم السينمائي، و الذي فيها أثنى على شابلن لتحويله السينما إلى شكل فني حديث، و رفعه إلى المكانة التي يحتلها بيتهوفن و نجنسكي وموليير.

أراغون تقاسم هذه الرؤية النخبوية عندما كتب يقول:" لا مفر من أن تعرف وتحب لوحات بابلو بيكاسو في مرحلته الزرقاء.. أن تقرأ كانت و نيتشه. و بالمثل، أن تبدي إعجابك بفيلم (المتشرد) لشابلن".

بالنسبة للسورياليين، فقد جسد متشرد شابلن الفلسفي تلك الفوضوية، الثورة، التهكم، حالة الحلم و الحب المجنون.

لقد امتدح أراغون الطريقة التي بها كان شابلن يقلق قوانين المكان و الزمان، و يقلب رأسا على عقب كل القيم الزائفة من خلال قدرته الخارقة للطبيعة على نفخ الحياة في أشياء جامدة و تحويل البشر إلى " مانيكانات".

الفنانون و النجم الصامت تقاسموا جمالية مماثلة: عندما حدد شابلن جوهر النكتة الجيدة بوصفه فجائيا و غير متوقع - " فكرة تذهب في اتجاه واحد فتلتقي فجأة بفكرة أخرى"- لعله كان يصف المفهوم السريالي لـ "الجمال المزلزل" و الذي كان يسعى إلى إثارة الصدمة بطريقة مماثلة.

فيليب سوبو كتب يقول: " في الوقت الذي كنا ننمّي السوريالية، كانت السينما بالنسبة لنا كشفا عظيما".

لقد حوّل السورياليون تجربة ارتياد صالات السينما و مشاهدة الأفلام إلى سلوك أو فعل سوريالي: اعتاد أندريه بريتون و جاك فاشيه القيام بنزهات صاخبة في صالات السينما يتناولان خلالها الطعام و يتبادلان الأحاديث الضاجة، و كانا يتنقلان عشوائيا بين الصالات الباريسية. و يتذكر بريتون كيف كانا يحبان دخول صالة السينما دون أي معرفة مسبقة بالفيلم المعروض، و في أي وقت من عرض الفيلم، ويغادران الصالة عند أول إحساس بالضجر ليهرعا إلى صالة أخرى ويتصرفا بالطريقة ذاتها. و كان بريتون يصف التجربة بكونها " ساحرة" حيث أنها " تتركك مشحونا بالتخيلات لعدة أيام.

شابلن نفسه كان محباً للثقافة الفرنسية. و كان يزعم بأنه ولد في بلدة فرنسية (هو صحح هذه المعلومة في ما بعد) و أن والده المدمن على الكحول كان نصف فرنسي. هذا الأب الذي قال عنه شابلن -عندما رآه في المرة الأخيرة- بأنه يشبه نابليون: الشخصية التي أراد شابلن أن يؤديها في فيلم سينمائي. لقد وقع شابلن في غرام باريس و هو في العشرين من عمره عندما زار المدينة للمرة الأولى مع فرقة مسرحية. في ١٩٢١ عاد إلى باريس و هو في ذروة شهرته العالمية حيث استقبلته الحشود بترحاب شديد، وكان الميدان الذي يفضي إلى الصالة غاصا بالجماهير، و الآلاف - حسب وصف مراسل النيو يوركر- جاءوا متدفقين، متدافعين، زاعقين. الرجال كانوا يحاولون ملامسته و النساء كن يحاولن تقبيله. باريس بدورها وجدت طريقها إلى أفلام شابلن.و فيلمه " امرأة من باريس"، الذي أخرجه دون أن يمثل فيه، اعتبره سوبو من أفضل أفلامه. في ١٩٢٧ وقّع ٣٢ سورياليا بيانا بعنوان" ارفعوا أيديكم عن الحب". و كان غرض البيان الدفاع عن شابلن ضد زوجته ليتا جري، التي رفعت ضده دعوى قضائية تطالب بالطلاق منه بسبب "رغباته الجنسية الشاذة" مطالبة بنفقة تقدر بملايين الدولارات. و بسبب هذه القضية تدنت شعبية شابلن بشكل كبير، غير أن السورياليين دافعوا عن هذا " المتشائم الرهيب" الذي لا يمكن للأخلاقية البورجوازية أن تكبحه".

أثناء وجوده في باريس في أوائل الخمسينيات لحضور العرض الأول لفيلمه " أضواء المسرح"، دعي شابلن إلى حفل عشاء مع أراغون و بيكاسو و سارتر. في ما بعد، زار مرسم بيكاسو الذي أهداه بعض اللوحات دون أن يتبادلا كلمة واحدة، إذ لم يكن أحدهما يجيد لغة الآخر.

لكن لم يكن كل السورياليين مفتونين بشابلن. سلفادور دالي كان يفضّل بستر كيتون و الأخوة ماركس الذين أثنى على (لا عقلانيتهم الملموسة). و في أكتوبر تشرين الاول من العام ،١٩٥٢ أثناء مؤتمر صحفي في فندق الريتز، حيث كان شابلن يروّج لفيلمه "أضواء المسرح"، قام عدد من الطليعيين بتوزيع منشورات تهاجم النجم بضراوة متهمة إياه بالفاشية و الانتهازية. و لم يرد شابلن.. فمنذ أن غادر أمريكا، و لم يسمح له بدخول أراضي الولايات المتحدة ثانية، و هو يتنقل في القارة الأوروبية التي أحبته ذات مرة.. بلا شروط.

عن مجلة sight and sound **-تشرين الاول ٢٠٠٣**

شابلن نفسه كان محباً للثقافة الفرنسية. و كان يزعم بأنه ولد في بلدة فرنسية (هو صحح هذه المعلومة في ما بعد) و أن والده المدمن على الكحول كان نصف فرنسي. هذا الأب الذي قال عنه شابلن -عندما رآه في المرة الأخيرة- بأنه يشبه نابليون: الشخصية التي أراد شابلن أن يؤديها في فيلم سينمائي. لقد وقع شابلن في غرام باريس و هو في العشرين من عمره عندما زار المدينة للمرة الأولى مع فرقة مسرحية. في ١٩٢١ عاد إلى باريس و هو في ذروة شهرته العالمية حيث استقبلته الحشود بترحاب شديد،

بعث اتحاد موسيقيي بيلوروسيا شريطاً موسيقياً ألفته فتاة شابة بمناسبة مرور مئة عام على ميلاد تشارلي شابلن وترجو الفتاة في رسالتها ان يسمع المحتفلون بهذا العيد هذه المقطوعة وما كان مني الا ان استغل هذه الفرصة كي التقي مع يوجين بن شارلي شابلن.

ها أنا على مسافة مئة كيلو متر من برن في فيفه حيث دار شابلن، والان عندما اتذكر المشهد لا اصدق كيف استطعت وانا على عكازين، اذ وقعت قبل فترة عن الدراجة بذل جهد كبير لتسلق سور بارتفاع مترين كي ارى، بعيني الاثنتين تلك الاماكن التي عاش فيها شابلن العظيم، وما اشد رغبتي وقتذاك، كي اتأمل الحديقة واحول تصور الجو الذي قضى فيه شابلن ربع قرن من عمره بسعادة غامرة.

صحفية تحاول اكتشاف لغز شابلن في لقاء مع ابنه يوجين

برنادشو: شابلن هو العبقري الوحيد الذي انجبته السينما

امريكا لم تغفر له "جريمته" رفض التجنس بالجنسية الاميركية

ومن جهة الشارع جدار يذكرنا بجدران قلعة قروسطية والسور ايضا وعلى البوابات الحديدية السوداء والضخمة ذات المقابض المعدنية والملونة مكتوب ما يلي: "ممنوع الوقوف!كلب شرير".

ولكن مع كل ذلك كنت مفعمة بالامل بحدوث اعجوبة حيث ستفتح البوابات وسأدخل الى الحديقة وسأحس بأريج الورد والعشب الطازج وسأسمح صرير الجنادب وحفيف الاوراق المرئية على الاشجار غير العادية وسوف ارى تلك المهرولة الى صديقتها النمامة كي تشي اليها عن شيء ما، ومن هذه المهرولة؟انها ليست سوى كرات الثلج، فهي قد رأته في كل الاوضاع ، حزينا ومرحا ، مريضا متوعكاً، وربما كانت شاهدة عين لعذاباته والامه وشكوكه وتأملاته عن حياتنا الارضية الزائلة..نعم كان بإمكانها ان تروي الكثير من القصص عنه الا انها تمييز عن البشر، تلوذ بالصمت تحفظ الاسرار.

تمكنت من رؤية المرج الاخضر الذي كانت تشع فيه شجرة غرائبية هائلة اشبه بملكة الملوك..

وبدأ للعيان من خلال الشعاع بين الاشجار جزء من البيت بباب مفتوح قليلا، وخرجت منه سيدة ترتدي ما يوحي بالصرامة وبمرافقة عدد من الاطفال.. ربما كان هذا هو المنزل الذي تعيش فيه أونا، واما البيت الذي تطل جدرانه على الشارع فهو للخدمات.

حاولت تخيل هيئة شابلن، غير الضخمة بجانب شجرة عملاقة، ولكن ماذا رأيت؟ ظلالا اسطورية للاشجار المترامية على ممر واسع واحسست بغموض سكينة الحديقة الكبيرة واصغيت الى الاصوات المسكرة للعصافير المفردة، وبدا لي وفي لحظة خاطفة، انني اقتربت من ملامسة الشيء الذي منحه الالهام.

تقع دار شابلن مانوار – دو بان "على بحيرة جنيف في قرية كورسيه – سيور –فيفه.

فهنا ربي شابلن ثمانية اولاد وكتب مذكراته وفارق الحياة عشية عيد الميلاد وهو عامه الثامن والثمانين ، حدث هذا في عام ١٩٧٧.

يروي صديق العائلة رولف نيبه عن تلك اللحظات:

عندما عرفت من انباء الصباح خبر رحيل شابلن أحسست أنني فقدت فرداً من افراد العائلة فخابرت اونا، وقد رجتني ان اتي لحضور مراسم الدفن، كانت أونا واثقة بأن شارلي كان يود بذلك، وأنا كنت الوحيد الذي يقف جنباً الى جنب الى جانب افراد اسرة شابلن، والتأم شمل المئات من الصحفيين والمصورين في كورسيه، وكان الحشد البشري يحاصر العزبة من كل الجهات.

وفي العزبة مقبرة صغيرة، وكان المطر يهطل ، والجو من حولنا كئيب ، وثمة ما يضغط على الصدر وفي النفس، فهي لم يدعو شابلن يخلد الى الراحة حتى بعد ان واروه التراب، وقد تم تخريب الضريح وتدميره...

لقد زرنا ضريح شابلن في القمبرة (كورسي) وكانت مفروشة بالورود البيضاء والوردية، والنصب عبارة عن بلاطة والى جانبه مقعد وهناك فتاة بعيون شابلينية تضع وردة في كأس عليها منقوش: "شارلي من جودي".

وحسب محياها فهي ابنة الاربعة عشر ربيعا، لايبدو انها موجودة موجودة بمحض المصادفة ، فهي ليست مجرد معجبة بالفنان العظيم، ربما كانت واحدة من حفيدات شابلن؟

وفي مكان غير بعيد عن المقبرة، في حديقة البلدية وعلى القاعدة الحجرية السوداء، توجد عصاة شارلي وطاقيته وحول التمثال ورود وفساحة.

وفي تجوالنا في ارجاء المدينة لم نجد ملصقات عليها بورتريه شابلن الا في واجهتين او ثلاث، وهذا فقط عندما تم الاحتفال بميلاده المئوي ، وفي ساحة شارلي شابلن والتي كما لو كانت بحيرة جنيف تعانقها ثم رفع الستارة عن النصب التذكاري لمناسبة مرور مئة عام على ميلاده.

النصب التذكاري هو قبل كل شيء تذكار وذاكرة، واعتقد انه ينبغي ان ينقش ماهية الانسان وجوهره وطبيعته وسماته الفرديه وروحه، واما هنا فتوجد الصفات الخارجية وحدها، الطقم والعصاة والطاقية، واسفاه!

تقع ساحة شارلي شابلن على مسافة خمس خطوات من فندق التيجان الثلاثة الذي تحدد موعد اللقاء فيه مع يوجين.

التقينا في الموعد المحدد، كنت مضطربة للغاية اذ لا نوهب مثل هذه اللقاءات في كل يوم ، كيف يبدو ابن شابلن؟ هل هو يشبه اباه؟ هل سأعرفه؟.

في بهو الفندق جيشان وصخب: بشر وكلاب بل حتى قرود برفقة اصحابها المهمين وهنا، ايضا السعاة والحمالون ينقلون في العربات الحقائب من كل الاشكال والانواع والالوان والحجوم.

وفجأة اسمع من

لقد زرنا ضريح شابلن في القمبرة (كورسي) وكانت مفروشة بالورود البيضاء والوردية، والنصب عبارة عن بلاطة والى جانبه مقعد وهناك فتاة بعيون شابلينية تضع وردة في كأس عليها منقوش: "شارلي من جودي".
وحسب محياها فهي ابنة الاربعة عشر ربيعا، لايبدو انها موجودة موجودة بمحض المصادفة ، فهي ليست مجرد معجبة بالفنان العظيم

الخلف صوتاً فتياً موجهاً نحونا فألتفت وأرى شابين، احدهما اشقر طويل القامة وانيق للغاية، كلا انه ليس هو والثاني اسود الشعر بعينين زرقاوين ساطعتين ، نعم! هو الفتى شابلن.

جلسنا في الشرفة الزجاجية نصف المكشوفة واخذنا نحتسي الكوكا كولا المثلجة.

يوجين شابلن شاب بشوش وطيب، وهو يشبه والده عندما يبتسم انها الابتسامة ذاتها الناعمة والحزينة، انظر الى يوجين وافكر: هذا هو ابن شابلن العظيم.

كل شيء بدأ من اللحظة التي اقدم فيها شارلي، ذات مرة على صنع مكياج مضحك لنفسه وارتدى بنطلونا عريضا وانتعل حذاء ضخما وحمل العصاة والقبعة العالية وهو يقول: "بودي ان يكون في البستي كل شيء متناقضاً مع الاخر.."

هنا يكمن جوهر الطبيعة الشابلينية ، وهكذا ولد شارلي –شارلو الشهير، الشريد والجنتلمان ، والشاعر والموسيقى والحالم، كان لدى شابلن تصور اخر نوعا ما عن السينما بالمقارنة مع ما هو في هوليود فهو كان يرى انه "لاشيء يمكنه ان يحل محل الفرد في السينما... فالافكار ترد عندما تتحسس تلك الرغبة الهائلة بإيجادها واكتشافها".

وفي فترة خاطفة لم يصبح شابلن ممثلا فحسب بل موسيقيا ومخرجا وكاتبا لأفلامه، وحلق مجده خارج حدود اميركا وانساح موج هذا المجد حتى وصل الى اوروبا ، وفي بداية العشرينيات دخل انكلترا منتصرا على حصان المجد، الابيض. كان هذا هو ثأر شارلي الصغير والفقير. وهنا يستقبلونه ويزوره عظماء العالم بأسره.

قال برناردشو:

" شابلن هو العبقري الوحيد الذي انجبته السينما".

ويتذكر شابلن: "كانت فترة سعيدة في حياتي، كنت خالي الهموم وحرا، كان عمري سبعة وعشرين عاما وتتبدى امامي آفاق خرافية وعالم رائع وجذاب، كنت وانا في ذاك العمرن مليونيرا، وكل هذا بدا لي غير طبيعي، بل حتى خيالياً..." وبرغم ان شابلن قد أثري كثيرا الا انه ظل دوماً نصيراً ومدافعاً عن البؤساء ومنسجماً معهم في الرأي الواحد.. وهذا ليس بالامر السهل..

وبعد برهة قصيرة جدا اتوجه الى يوجين بالسؤال التالي:

× حدثني من فضلك عن عائلتك، وعن نفسك؟

– عندي خمس اخوات واخوان اثنان، الاخت الكبرى جيرالدين ممثلة سينمائية، واخي مايكل واخواتي جوزفين وفيكتوريا وانيت يعيشون في فرنسا، جوزفين تكتب السيناريوهات وتظهر على الشاشة الكبيرة وانيت ايضا، تعمل في السينما وفيكتوريا مع زوجها يعملان في سيرك هو ملك لهما، والاخت جين تعيش في الولايات المتحدة واما كريستوفر فيعيش في انكلترا وهو ايضا يعمل في السيرك، وهو الاصغر

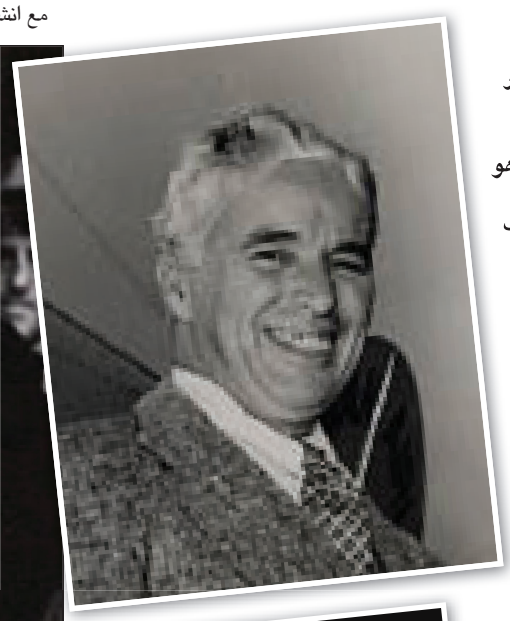

مع انشتاين

والمفضل ويبدو لي انه الاكثر موهبة بيننا، فهو تعجبه مهنته، وقد اتم دراسته للفن المسرحي في لندن وكان في مهرجان ادنبورغ، ناهيك انه عازف بيانو من الدرجة الاولى، يشارك في السينما كما شارك في ايطاليا في فيلم تلفزيوني مكرس لحياة الوالد يحاصره الصحفيون وهذا الامر لايروق له فهو يقول: لاشيء خاصا يمكنني ذكره عن ابي واما ما اعرفه عنه فأنا افضل ابقاءه بيني وبين ذاتي".

× يوجين هل ثمة قائمة بين الابناء؟

–طبعا، برغم انه من الصعب جدا ان يلتئم شملنا جميعاً، فنحن خلال السنة نلتقي الابناء وابناء الابناء.

–ذكرت جوزفين ذات مرة ان امكم بابتسامة مريم العذراء وكان ابوكم يعبدها، ومن خلال كل المعطيات كان والدكما يمثلان زوجا مثاليا، فهما عاشا سوية اكثر من ثلاثين عاما ولم يتشاجرا اطلاقا كما انهما لم يفترقا ابدا، واذا كانا قد تجادلا في يوم من الاوقات فلم يكن سبب هذا سوى الاولاد، وتتذكر جوزفين: " كان ابونا ابا عاديا في تصرفاته معنا، بل رائعا للغاية وكان يصدق احيانا ان نغرق، جميعنا في الضحك..

ولم يحاول ابونا، في أي وقت أو مكان، ان يصور بطله، ولكن المرة الوحيدة اليتيمة كانت في المطعم عندما عرض رقصة الرغيف، ولو كنا قد بقينا في هوليود لكانت حياتنا قد أخذت مجرى اخر، فهنا كان البابا يلعب التنس مع غريتا غاربو، وكثيرا ما كان يزورنا في الدار اينشتاين ..واما في كورسيه فلم تكن عندنا تلك الاستقبالات الكبيرة.. واعتقد ان الماما، لهذا السبب لن تتمكن من التعافي والعودة الى حالتها الطبيعية بعد وفاة الاب، يبدو لي ان جوزفين برغم انها تعدت الاربعين عاما فهي قد حافظت على الابتسامة التي ورثتها عن الماما، واما العينان الهائلتان فقد ورثتهما عن البابا.. وسؤالي:

× ما اغلى شيء ورثته عن هذا الاب العظيم؟

–الجو، ذاك الجو الذي كان سائدا في اسرتنا ، في بيتنا أي احترام الحياة الشخصية لكل فرد منا، وفي الان ذاته عدم استعراض هذه الحياة الشخصية. كانت حياة شارلي الشخصية قبل اللقاء مع أونا متنوعة للغاية، فهنا كان التعلق اللطيف بالممثلة ايدنا بيرفانس ، هذا التعلق والهيام استمر لفترة طويلة..

وفي عام ١٩١٨ كان الزواج بالانسة ميلدرير هاريس، وقد صارت ممثلة عندما كانت في ربيعها العاشر، وكانت قد مضت ستة اعوام على ظهورها على الشاشة قبيل لقائهما ، ولكن بعد عام افترقا، واعلنت هاريس بعد الطلاق: "سبب لي شابلن الحزن الكثير عندما توقف عن مشاعر الحب تجاهي".

وقع شارلي في سحر الفتاة المكسيكية ليتا غراي لمظهرها الخارجي الغريب العجيب فعرض عليها دورا في حمى الذهب، كانت البعثة قاسية، وقد التقطت الصور في الاسكا الا ان ليتا خيبت امال شابلن، وفي النتيجة بقي في الفيم مشهد واحد لها لا اكثر وقد هدد والدا ليتا برفع دعوى على شابلن الى المحاكم.

وبهذه الطريقة اجبروه على الاقتران بابنتهما ، وكانت حصيلة هذا الزواج صبيين هما سيدني وتشارلز، وسيدني، ايضا، بدأ مسيرة حياته في السينما بل حتى شارك مرتين في افلام ابيه.

غير انه لم يصبح ممثلا وترك هذه المهنة كي يفتح مطعما في باريس في البداية، وفي لوس انجلس لاحقا، وفيما بعد تولع برياضة الغولف، وفارق سيدني الحياة في عام ١٩٦٨.

عاد شارلي الى هوليود ، ومن جديد يمكن القول بدأ من الصفر، وقد بدا العمل في فيلم "حمى الذهب" ولكن الان في الاستوديو.

في عام ١٩٣٢ تزوج شارلي السيدة بوليت غودار، وقد تحدث عنها قائلا: انها مرحة ومسلية، كانت تجمعنا الوحدة والعزلة، عشنا سوية ثماني سنوات وبعدها حدثت الفجوة والقطيعة...".

ولكن سرعان ما ظهرت أونا أونيل، التي املأت هذه الفجوة وكانت الحب الاول والاخير عنده، ولكن كيف حدث اللقاء بينهما؟ كان ينبغي عليها، وقتذاك ان تلعب دورا غير قليل في حياته، فهو اكتسب مع أونا وفي نهاية المطاف سعادة زوجية حقيقية وطمأنينة نفسية. كانت أونا في ربيعها الثامن عشر وأما هو فقد جاوز الخمسين، وقد اقترنا في صيف عام ١٩٤٣ وعاشا اكثر من ثلاثين عاماً معاً، ولهما ثمانية اولاد والان، اكثر من سبعة وعشرين حفيدا.

في الاربعينيات كانوا يكرهون شابلن في اميركا المتزمتة تماماً مثلما كانوا يعبدونه في العشرينيات، وقد سببت له الصحافة وغير الصحافة لحظات غير قليلة من المرارة اذ لم تستطع اميركا ان تغفر لشابلن طلاقاته، وألقوا الذنب عليه بأنه لم يرغب القبول بالجنسية الاميركية: لقد كان يعتبر نفسه أمميا.

وفي خريف عام ١٩٥٢ ودع شابلن اميركا وهجرها.

فهو لايؤمن باي نظام سياسي ويقول: لكل الحق بسقف فوق رأسه ولكل الحق في العملن ولكن الاحتجاج على كل ما يعترض حريته الفردية.

كانوا يسمونه بلشفيا ، شيوعيا واما هو فلم يوافق على ذلك: "انا فنان تثير الحياة اهتمامي ، والبلشفية هي مرحلة جديدة من الحياة، وهذا يعني انني معني بذلك ايضاً".

وبناء على نصيحة احد اصدقائه قرر شارلي الاستقرار في سويسرا ، ففي البداية اقام في لوزان وبعدها في كورسيه حيث رتب شؤون سعادته.

كان مرتاحا في سويسرا وكانت تروق له حياة البلد باسم مغفل ، وبالطبع سكان فيفه كانوا يعرفونه الا انهم لم يضجروه أو يزعجوه.

وكما اعلن شابلن نفسه فان الانتقال الى سويسرا يعود سببه الى خيبة الامل بالمجتمع الذي يحيط به والى التعب من العلاقات والصلات الدنيوية، وقد احاط نفسه بسور بسور عال كي يكرس حياته لزوجته واولاده وابداعه، وهذه الدار الجديدة في فيفه اتاحت له المجال كي يحقق حلمه.

كان شابلن سعيدا فالى جانبه محبوبته أونا، يتحلق حوله الابناء: جيرالدين ومايكل وجوزفين وفيكتوريا ويوجين وانيت وجين وكريستوفر، الاربعة الاكبر ولدوا في هوليود، والاصغر ولدوا في سويسرا.

رولف نييه يتذكر: "زار شارلي سيركنا للمرة الاولى في عام ١٩٥٣ أي بعد القدوم الى سويسرا وبعد العرض اتى الى الكواليس وجرى التعارف والصداقة، ودعانا شارلي الى داره، وبعدها كان يحضر السيرك بكل سرور، وكان بعد العرض يدعونا الى داره يوماً. وحدث التقارب بين عائلتينا، والشيء الاكثر مدعاة للحديث المسلي هو ان اولادنا كانوا يرون النور في وقت واحد كما لو كانت الاسرتان في حال تنافس وتباري.

كان اكثر ما يدهشنا في شابلن هو التواضع والاحساس بالمسؤولية ، فهو لم يكن يحب التكلم عن ذاته، وقليلا ما كان يضحك في الحياة بل حتى انه كان جديا اكثر من اللازم.

مضى اكثر من عشرين عاماً على هجر شابلن لاميركا وفي عام ١٩٧٣ دعوا شابلن الى الولايات المتحدة حيث كان عليهم ان يمنحوه الاوسكار ، وقد غفر للاميركيين، وكان احتفال منح الجائزة مؤثراً، وقف الجميع وهم يغنون اغنية "ابتسامة" وكان شابلن في السماء السابعة من شدة الفرح.

في هذه اللحظة كان يمسك بيد أونا، وسؤالي اليك يا يوجين:

× الا تحس بضغط او هيمنة من جانب اسم والدك؟

–كلا فهذا الاسم لم يمسن. يقال ان اولاد شابلن ورثوا عنه مواهبَ كثيرة ، وانا معجب باخواتي واخوتي ، ولكنني اظن انهم يتمتعون بجرأة كبيرة فيما اذا تحولوا الى الفن، فأنا احب الموسيقى حباً جماً. وقد بدأت كمخرج اوبرالي ومخرج وعملت سنوات عدة في الاوبرا، وهل احب الباليه والسيرك والمسرح والسينما؟ ربما بنسبة اقل ، وانا الوحيد منهم لا اعمل في مجالات الفن حاليا، عندي مخزن غير كبير وابيع شرائط فيديو.

× هذا يعني انك انت ايضا، لم تتخلص من عدوى الفن الموروثة؟.

–ولكن ربما لهذا السبب بالذات غيرت المهنة.

× ما رأيك هل كان ابوك لو كان حيا يستحسن اختيارك هذا؟

–كان بابا يقول لي: "يمكنك ان تعمل ما تريده والشيء الرئيس هو ان يمنحك العمل الرضا والارتياح".

نادرا ما كان شارلي يضحك في حياته اليومية

◆ ◆ ◆

حالات زواج وطلاق وثمانية اولاد وقرابة الثلاثين حفيدا

مجلة الحياة السينمائية ربيع ٢٠٠٢

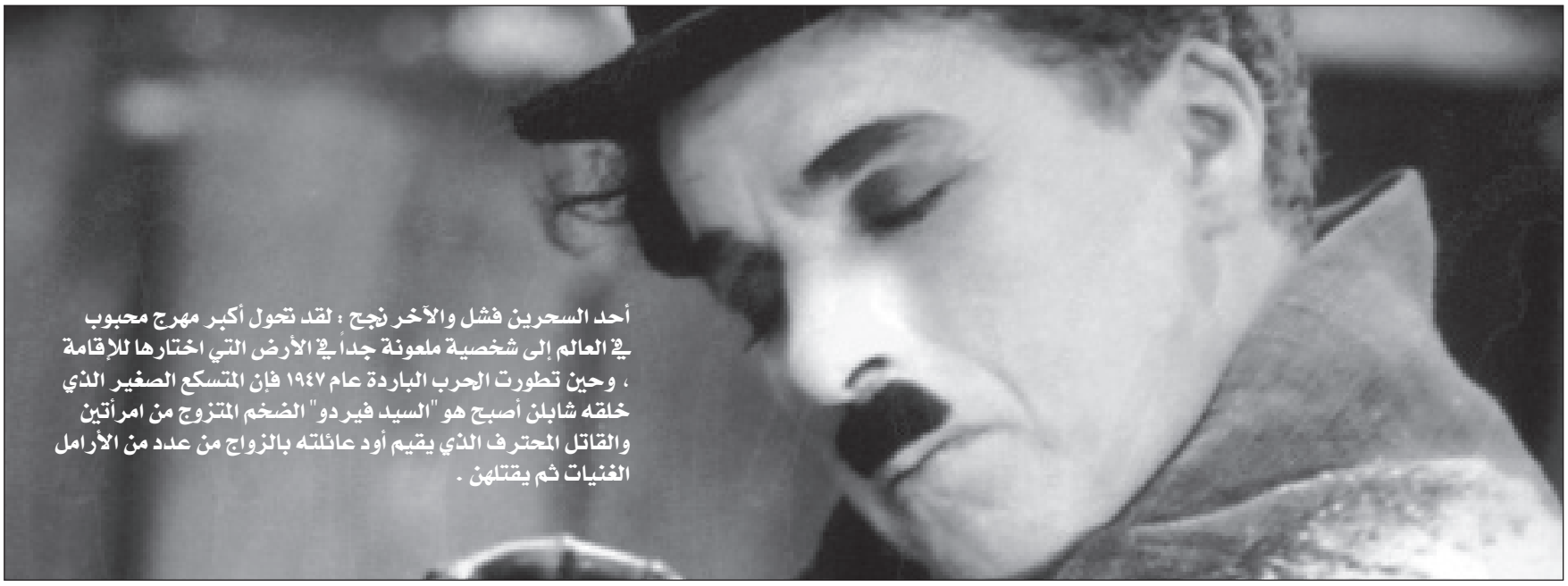

أحد السحرين فشل والآخر نجح : لقد تحول أكبر مهرج محبوب في العالم إلى شخصية ملعونة جداً في الأرض التي اختارها للإقامة ، وحين تطورت الحرب الباردة عام ١٩٤٧ فإن المتسكع الصغير الذي خلقه شابلن أصبح هو "السيد فيردو" الضخم المتزوج من امرأتين والقاتل المحترف الذي يقيم أود عائلته بالزواج من عدد من الأرامل الغنيات ثم يقتلهن .

حين يصبح شابلن هو العدو

ج. هوبرمان
ترجمة : نجاح الجبيلي

إن فيلم "مسيو فيردو" الذي عرض هذه السنة في منتدى الفيلم في أميركا على مدى أسبوع كان عنوانه الفرعي "كوميديا الجرائم" وكما لاحظ الناقد الفرنسي آندريه بازان فقد قلب عالم شابلن رأساً على عقب ، والمتشرد السابق هو هنا موظف نزيه يعمل في البنك انساق إلى الجريمة بسبب انهيار سوق البورصة عام ١٩٢٩ وبعد أن حكم عليه بالموت في نهاية الفيلم يعلن أن جرائمه لا تقل بشاعة عن الجرائم التي ارتكبتها الحضارة الغربية "إني قاتل مبتدئ بالمقارنة معها" . عدّ شابلن فيلمه هذا ، وهو الأول بعد الحرب العالمية الثانية، من النوع الذي له علاقة بالأحداث الجارية ، وبينما وجه الهجاء إلى هتلر في فيلم "الدكتاتور العظيم" – ١٩٤٠ فإنه في هذا الفيلم كان يعلق على المذبحة التي ارتكبها هتلر والدمار الشامل الذي يخشى أنه سيعقبها .

إذ قال شابلن في مقابلة معه : " قال كلاوزفيتس أن الحرب هي الامتداد الطبيعي للدبلوماسية ويشعر فيردو بأن الجريمة هي الامتداد المنطقي للتجارة" ، لكن السيد فيردو هو أيضاً النتيجة المنطقية لأحاسيس شابلن عن الضحية كونه شخصاً مشهوراً وإنساناً.

وعلى الرغم من الشعبية الواسعة لفيلم "الدكتاتور العظيم" إلا أنه أثار الجدل أيضاً ، فقد تم شجبه كونه دعاية للتدخل على أرضية مجلس الشيوخ ، والاستقبال العاصف لفيلم "مسيو فيردو" عكس كل من محتوى الفيلم وشخصية صانعه.

وخلال الحرب كان شابلن موضع نقد بسبب أخلاقياته- المتخذة زي الأبوة الحسية- وعواطفه السياسية ، وبالنسبة للبعض فإن الاثنين يتطابقان ، اتهم جون إي رانكن النائب الديمقراطي من الميسيسيبي ، شابلن كونه شيوعياً و " مشهوراً بإغوائه للفتيات البيضاوات" ، حتى أنه قبيل افتتاح فيلم "مسيو فيردو" في عام ١٩٤٧ كتبت "هيدا هوبر" ، وهي كاتبة عمود في هوليود ، إلى "ج. إدغار هوفر مدير "الأف بي آي" ترجوه منحها الفرصة لمهاجمة شابلن قائلة : " أنت تعطيني المادة وأنا أفجرها" .

وتردد هوفر وكان لديه ملف ضخم عن شابلن بضمنه تقرير حديث يربطه باللاجئ السياسي المتطرف "هانز إيسلر" وبرتولد بريخت لكن فيلم "مسيو فيردو" الذي تأثر بالتأكيد بأفكار بريخت في الهجاء الاجتماعي ، كان يحمل كارثته الخاصة .

ولتقديم فيلمه وهو الأول خلال سبع سنوات أصرّ شابلن على عقد سلسلة من المؤتمرات الصحفية ، وقبل العرض الأول راح يتسلى بالأسئلة الودية من الصحفيين الأجانب ، وكان العرض نفسه في مسرح برودواي في مانهاتن الذي أعيد تأهيله ، أقل تأثيراً ، وهرب شابلن من المشهد بعد أن أجفله استهجان الجمهور وهمهمتهم .

وفي لقاء لاحق مع المراسلين في فندق "غوثام" واجه أيضاً المزيد من الكراهية ، فنصف الأسئلة تركزت على سياساته أو ولائه الوطني ، فقد أتهم بالتعاطف مع الشيوعية وتم استجوابه عن صداقته مع "أيسلر" الذي كان حينذاك الهدف الأول للجنة الأمريكية للتحقيق في النشاطات الشيوعية في هوليود .

وفي اليوم التالي تعرض فيلم "مسيو فيردو" لملاحظات سيئة عن سيرة شابلن وهوجم كونه غير مسل ويفتقد الذوق وصناعته رديئة ومريب أخلاقياً ، وحسب صحيفة "هيرالد تريبيون" "إهانة للاستخبارات" .

لكن مراجعات الفيلم كانت مختلفة في العدوانية ، فبعد أن شخصّه "بوسلي كروثر" من صحيفة "نيويورك تايمز" كونه خطيرا وقاسيا أساسا" إلا أنه حذر بأن "أولئك الذين توقعوا أن يضحكوا قد يجدون أنفسهم مستمرين في البكاء" وبالنسبة للبعض فإن الفيلم أصبح قضية.

كتب "جيمس أغري" دفاعاً عنه من ثلاثة أجزاء في مجلة "ذا نيشن" – على الرغم من أنه لا يفيد كثيراً كون المراجعة الإيجابية غير الملتبسة جاءت في صحيفة "الديلي وركر" ("كوميديا لامعة سوف تثير رسالتها العميقة القلوب والعقول بالنسبة للناس المحبين للحرية في كل أنحاء العالم").

ظل فيلم "مسيو فيردو" يعرض أقل من شهر في برودواي ومباشرة بعد أن دعا مالكو المسرح المستقل في أوهايو إلى حظر وطني عليه ، سحبت شركة "يونايتد أرتستس" الفيلم من العرض ، وطالب النائب رانكن في منتصف حزيران بنفي شابلن ؛ وبعد أن توقع شابلن أن يستدعى أمام لجنة مكافحة النشاطات ضد أمريكا ربط فيلمه بالتحريات المتوقعة ، فأرسل برقية مفتوحة إلى رئيس اللجنة يقترح فيها بأن طرح الفيلم بسيط فقد كتب : " إنه ضد الحرب والمذبحة التافهة ، إني غير شيوعي أنا معزز للسلام" .

القلة من الأفلام كانت مثيرة لاختلاف الآراء وفي اليوم الذي حثت فيه جماعة "جنود الحرب الكاثوليك" على استجواب فيدرالي لنشاطات شابلن السياسية صوتت "الهيئة الوطنية للمراجعات" على كون "مسيو فيردو" أفضل فيلم لعام ١٩٤٧.

غير أنه بالنسبة للمدافعين عنه من المثقفين فقد أحرز فيلم "مسيو فيردو" إيرادات قليلة تبلغ ١٦٢٠٠٠ دولار في شباك التذاكر.

وبسبب إهانته رفض شابلن أن يسمح بإعادة إحياء الفيلم وفي الوقت الذي ظهر على مسرح بلازا في تموز عام ١٩٦٤ وبعد أن استقر شابلن في سويسرا فقد كان أسطورة لمحبيه واستقبل بالإثارة المتوقعة من الجمهور الواسع .

أعيد عرض الفيلم في غضون أشهر مع عرض الفارس الرؤيوية "د.سترينجلوف" وحملة السناتور باري غولدوتر المرشح الجمهوري فقد عزفت كوميديا شابلن السوداء على الوتر الحساس ، وعزا أندرو ساريس الناقد من مجلة "فيلج فويس" هذا القبول المعاصر إلى شعبية السخرية المرة قائلاً "إذا كان جمهور عام ١٩٤٧ كارها الضحك على القسوة في فيلم "مسيو فيردو" فإن جمهور اليوم قد يكون في غاية اللهفة لذلك" .

وبينما لا يتمتع فيلم "المسيود فيردو" بالوضع القانوني لفيلمي "البحث عن الذهب" و "أضواء المدينة" فإنه حاز تقديراً نقدياً على مدى حرب طويلة غير مقبولة.

ومنذ ذلك الحين تضاءلت حظوظ الفيلم ، وبعد أن علم منظم برنامج بروكلين للفيلم جيكوب فيرلين بأن حقوق الفيلم الأمريكية قد انتهت قام بإعادة إجازتها .

وقال السيد بيرلين ، ٣٢ سنة بأنه قد اندهش من بصيرة الفيلم وهي تصف "السياسة العامة القاتلة" للحكومة والأرباح التي جنتها مؤسسات مثل هالبيرتون وبلاكستون.

قد يكون عرض فيلم السيد فيردو جاء في الوقت المناسب مرة أخرى لكن جرأه طرحه تنبع من وقفة شابلن ضد البطولية أكثر مما تنبع من جدله ضد الحرب.

لا يوجد نجم خاطر بشكل كبير بصورته الشعبية أو تحدى الجمهور بصورة مباشرة ، فإذا كان شابلن يستخف بهتلر بتحويله إلى "متسكع صغير" فإنه عمل شيئاً بالغ الإزعاج في جعل "المتسكع الصغير" اجتماعياً.

ولاحظ بازان " إن وجود فيردو بالذات يجعل من ذلك المجتمع مذنباً" قبل أن يلقى مصيره فإن القاتل المدان يعود برقة إلى مشية "المتسكع" المميزة . هل انحدرت الإنسانية إلى هذا ؟

في المزحة الأخيرة من الفيلم يصبح من الواضح ، كما كتب بازان ، "بأنهم على وشك إعدام شابلن بالمقصلة!".

ظل فيلم "مسيو فيردو" يعرض أقل من شهر في برودواي ومباشرة بعد أن دعا مالكو المسرح المستقل في أوهايو إلى حظر وطني عليه ، سحبت شركة "يونايتد أرتستس" الفيلم من العرض ، وطالب النائب رانكن في منتصف حزيران بنفي شابلن ؛ وبعد أن توقع شابلن أن يستدعى أمام لجنة مكافحة النشاطات ضد أمريكا ربط فيلمه بالتحريات المتوقعة ، فأرسل برقية مفتوحة إلى رئيس اللجنة يقترح فيها بأن طرح الفيلم بسيط فقد كتب : " إنه ضد الحرب والمذبحة التافهة ، إني غير شيوعي أنا معزز للسلام" .

حياة في فيلم... طبيب نفسي يحلل سيرة شابلن

اسطورة الفن الصامت لها أكثر من لسان

صدر مؤخرا عن دار نشر (آركيد) الأمريكية كتاب جديد عن الممثل العالمي المشهور شارلي شابلن(١٨٨٩ـ١٩٧٧) من تأليف الطبيب النفسي الدكتور ستيفن وايزمان تحت عنوان (شابلن: حياة في فيلم). يتناول الكتاب تفاصيل الحياة التي عاشها الفنان شارلي شابلن منذ ولادته لحين وصوله الى مرحلة الشهرة والنجومية. وفي هذا الإطار، يسلط وايزمان الضوء، بحكم كونه طبيباً نفسياً، على العلاقة المضطربة التي عاشها شارلي مع والديه والتجارب المريرة التي مر بها، والتي ساهمت، حسب رأي الكاتب، في رسم شخصية الفنان المستقبلية وكان لها الأثر البارز في أعماله الفنية.

سناء عبد الله

ولادة في أسرة فنية

ولد شارلي شابلن في مدينة لندن بتاريخ ١٦ نيسان ١٨٨٩ من أبوين مولعين بالفن حيث عمل والده كعازف موسيقي وممثل بينما كانت والدته مغنية وممثلة تعمل في أحد مسارح المدينة. غير أن كل شيء حول الفنان شارلي شابلن تشوبه الشكوك والظنون فهناك اختلاف في الروايات بشأن تاريخ ولادته الدقيق وحتى مكانها فهناك من يرى أنه لم يولد في لندن بل في مدينة فونتيبلي الفرنسية. ولكن الأمر المؤكد أن والده هو شارلي شابلن (الأب) وأمه هانا هاريت هيل –المعروفة باسم ليللي هارلي في المسرح– وكلاهما كانا يعملان في المسرح الموسيقي. انفصل والداه عقب ولادته لينشأ شارلي في رعاية أمه التي كانت تزداد اضطرابا مع الوقت. غير أن المؤلف لم يقف طويلا عند هذه الاختلافات، وهو بلا شك محق في ذلك، فقد كان تركيزه على الفترة التي سبقت ولادة شارلي.

يعود الكاتب الى عام ١٨٨٣ تحديدا، حيث يقول: هجرت، سيدة كانت تعرف باسم (ليللي هارلي)، خليلها فجأة. كان اسم السيدة الحقيقي (هانا هاريت هيل)، أما خليلها فلم يكن سوى شارلي شابلن (الأب). تركت (هانا) وراءها أيضا عملها المؤقت كمدرسة موسيقي كي تبحر الى جنوب أفريقيا لتتزوج رجلا ظنت أنه ينتمي الى أسرة أرستقراطية وأنه قد ورث مقاطعة ثرية. والحقيقة، فأن هذا الرجل، ويدعي سيدني هوكس، لم يكن سوي رجلا معدما من أحد الأحياء الشعبية في لندن، يعتقد بأنه كان قد استغل (هانا) لأغراض الدعارة. عادت هانا الى لندن والى المسرح بعد ذلك بطفل غير شرعي ومرض الزهري. وكان هذا الابن غير الشرعي (سيدني) سيلعب دورا بارزا في دعم أخه شارلي والوقوف الى جانبه. أما ليللي، فهي كغيرها من النساء في حينه لم تكشف عن مرضها لبضع سنوات. كما عادت هانا أيضا الى خليلها، شارلي شابلن (الأب)، الذي كانت قد هجرته من قبل.

طفولة معذبة

لم يكن شارلي شابلن (الأب) ممثلا مشهورا بل فنانا ناشئا توقع له زملاؤه مستقبلا جيدا في عالم المسرح. ولم تكن علاقة شابلن الأب بأبنه شارلي قوية فقد عاش معه لفترة قصيرة لم يكد يتعرف شارلي على أبيه بشكل جيد. وفي عام ١٨٩٨ كانت الفاتنة ليللي قد أدخلت المستشفى وشخصت باصابتها بداء الزهري، فيما انتقل شارلي وأخيه غير الشقيق للعيش مع والده الذي كان يسكن مع عشيقته. بيدّ أنه سرعان ما توفي الأب (شارلي شابلن) بعد ذلك بفترة قصيرة بسبب إدمانه على الكحول، ولم يكن شارلي عندها قد تجاوز الاثني عشر عاما. ولم يعد لدي اليتيم شارلي مسكنا يقيم به حيث تقوم عشيقة أبيه بعد وفاة الأخير بإرسال شارلي وشقيقه الى دار للأيتام. وفي هذه الأثناء تفاقمت حالة ليللي تدريجيا لتصل الى حالة الجنون، وهي أمور لا شك أنها تركت بصمات عميقة وواضحة ليس على شخصية ابنها شارلي شابلن فحسب بل على أغلب أعماله الفنية الشهيرة. غير أن شابلن لم يفصح إطلاقا عن طبيعة مرض والدته ولم يقل أكثر من أنه كان لغزا مأساويا، ولابد أن ذلك كان مدعاة للخجل، حسب الكاتب. ويمضي الكاتب بالقول بأن المرحلة كانت مختلفة فلم يكن من المتصور أن يخرج شارلي شابلن الى العلن ليتحدث عن حالة والدته الصحية. على أية حال، فقد كشف النقاب، عن حالة والدته المرضية أول مرة عام ١٩٨٦، الطبيب النفسي ستيفن وايزمان، مؤلف الكتاب، في مقالة أكاديمية نشرها الأخير والتي تعد عنصرا رئيسيا في السيرة الذاتية التي كتبها وايزمان في كتابه موضوع البحث "شابلن: حياة في فيلم". ويحاول وايزمان في كتابه أن يبرهن أن حالة ليللي المرضية تركت بصماتها الواضحة على شخصية ابنها الفنان شارلي شابلن والتي امتدت الى سلوكه وتصرفاته اليومية وعلاقاته بالنساء بل وهوسه بالنظافة حيث عرف عنه استحمامه أكثر من عشرة مرات يوميا.

تجسيد المعاناة في الأعمال الفنية

ولا يعد الناقدون هذا الكتاب بمثابة سيرة ذاتية كاملة فالكاتب، بوصفه طبيبا نفسيا، يسلط الضوء على طفولة شابلن وفترة شبابه. وينهي الكاتب سيرته لدى بلوغ شابلن مرحلة النجومية. وكأي طبيب نفسي، يرى وايزمان، بأن الإنسان لدى بلوغه مرحلة متقدمة من العمر يكون قد وصل الى حالة تصالحية مع تاريخه وقد تخلص بشكل كبير من رواسب مرحلة الطفولة. ويأخذ النقاد على السيرة هذه إغفالها للعلاقة التي ربطت بين شابلن ووالدته، ورعايته لها في أواخر سنين عمرها أي بعد تحقيق شهرته حيث يعرف أنه جاء بها الى مدينة لوس انجليس الأمريكية وخصص لها دارا مع من يرعاها صحيا. بيدّ أن شابلن نادرا ما قام بزيارتها ولم يتحدث مع أصدقائه وزملائه عنها إلاّ نادرا. يخلص الكاتب الى القول بأن والدة شارلي قدمت الى ابنها الروح (المقنعة) للشخصيات التي أدي أدوارها شابلن بإتقان، فصور شخصيات المشردين والصبيان لم تعكس سوى صورة شابلن في صغره. وحتى بعد وفاة (ليللي) عام ١٩٢٨ بيت والدته شخصية خيالية محبوبة ومثيرة للمشاعر. وقد وصف شابلن حياته في سنوات عمله الأولى بأنها نموذج لشخصيات الكاتب البريطاني تشارلس ديكنس التي تميزت بالفقر والجوع.

الشهرة والسياسة

يري الكاتب أن شارلي شابلن تمكن من البقاء حيا بفضل عناية إلهية وبفضل الحماية التي منحه إياها أخوه غير الشقيق (سيدني) وهو أبن (ليللي) الذي كان نتاج مغامرتها الفاشلة في جنوب أفريقيا، والذي أصبح فيما بعد أفضل صديق له وحتى أفضل مدير لأعماله. غير أن شيئا ما حدث لشارلي شابلن بينما كانت شهرته وثروته تكبران، وهي المرحلة التي يأخذ فيها النقاد على الكاتب عدم تعمقه في البحث فيها وحتى إهمالها. وهنا يختلف النقاد في تقييمهم لحياة شابلن فمنهم من يرى شارلي قد انحرف عن مسيرته نحو اليسار بل هناك من اتهمه بأن الفضائح العاطفية التي أصابته كان سببها توجهاته اليسارية ومغامراته العاطفية. كان شارلي شابلن الذي نشأ فقيرا وعرف الظلم في طفولته منحازا في فطرته الى الفقراء مناهضا للظلم، الأمر الذي وضعه على طريق متعارض قاد به الى صدام مباشر مع السلطات الأمريكية التي اتهمته بالشيوعية واليسارية والفساد والى ما ذلك من تهم طاولت أوساط المثقفين والفنانين في مرحل الخمسينات التي تعرف في الولايات المتحدة باسم (الماكارثية). اضطر بعدها شابلن الى ترك الولايات المتحدة حيث اختار العيش في سويسرا. وفي المنفى السويسري، عاش شابلن حياة أبوية مع أسرته الكبيرة المتكونة من ثمانية أطفال، وأنجز بعض الأفلام القديمة، وكتب سيرته الذاتية الرائعة التي سلطت مزيدا من الضوء على طفولته. لم يكن شارلي شابلن ممثلا كوميديا من أنصار الفن للفن بل كان فنانا ملتزما خلال جميع أعماله. وكان فنانا شديد الحساسية والتواضع مما دفع العديد من الجهات الى استغلال تسامحه ومبدأيته لتوظيفها سياسيا لصالحهم حتى أنه عندما أدى دور الزعيم النازي هتلر في فيلم (الدكتاتور العظيم)، تم تسريب شائعات عمدت الى تضليل الجمهور بأن شابلن يهودي في وقت يؤكد فيه تاريخ شارلي أنه مسيحي. وعندما أبدت ابنته جيرالدين موهبة ورغبة في العمل في مجال التمثيل، أظهر شابلن تشككا حيال طموحاتها، ونصحها، كما قالت فيما بعد الى (ريتشارد شيكيل) الذي كتب وأخرج فلم السيرة الذاتية (شارلي: حياة وفن شارلي شابلن)، بأن تتجه للعمل في مجال التمريض لما لهذه المهنة من فائدة إنسانية للبشرية، الأمر الذي رفضته جيرالدين. وبغض النظر عن الانتقادات اتي وجهت الى الكتاب، فقد تمكن الكاتب تتبع حياة شارلي شابلن على نحو شيق وتسليط الضوء على العبقرية التي تمتع بها هذا الفنان القدير، مؤكدا بأن الحياة المأساوية التي عاشها شارلي في طفولته كانت سبب شهرته. أما بشأن المرحلة المتقدمة من حياة شارلي شابلن فيبدو أن طبيعة علاقة الفنان بالولايات المتحدة كانت معقدة. ففي الوقت الذي منحت الولايات المتحدة الشهرة لشارلي شابلن في بداية حياته الفنية، إلا أنها حاولت أن تسرقها منها لأسباب سياسية عندما رفض شابلن ان يتحول الى بوق دعائي للنظام الرأسمالي البشع. وهكذا غادر شارلي شابلن الولايات المتحدة ولم تطأ قدماه البلاد ثانية إلا عندما زارها مزهوا بالنصر عام ١٩٧٢ لتسلم جائزة الأوسكار عن فيلمه (دائرة الضوء) الذي كان قد عرض أول مرة في الولايات المتحدة عام ١٩٥٢ ولكنه حجب عن الشاشات بعد أسبوع واحد من عرضه لأسباب سياسية.

بين الفقرات التي تقدم على المسرح كان المهرجون غالبا مايتناولون الشراب مع المشاهدين. كان مدير الصالة يطلب منهم ذلك، لان معظم مدخول الصالة يتأتى من المشروب. وكان والده يستخدم ليشرب مع المتفرجين. غير ان الشراب تمكن منه شيئا فشيئا. فقد تحول من نديم لطيف مع الاخرين الى زوج واب سيئ. واخيرا هجر زوجته حنه وولديه. كان عمر شارلي انذاك ثلاث سنوات ونصف، اما سيدني فقد كان عمره ثماني سنوات تقريبا.

شارلي شابلن

في ذاكرة الناس والتاريخ

رضا الطيار

عودة الام الى المسرح

كانت حنه قد تركت العمل في الصالة منذ بضع سنوات. لكنها حاولت ان تجمع بعض المال من خلال عملها كممرضة وخياطة. لكن ذلك لم يكن يكفي، لذا فكرت ان تعود ثانية الى المسرح، بالرغم من خوفها من قسوة المتفرجين، ولكن لم يكن لديها خيار اخر.

اول ظهور لشارلي شابلن

كانت الام غالبا ما تصطحب شارلي معها عند ذهابها للعمل في الصالة. كان شارلي يقف بجانب المسرح بحيث لا يراه المشاهدون. اذ كان يحب الاستماع الى صوت امه العذب و يحفظ جميع اغانيها. في احدى الليالي كان المشاهدون اكثر قسوة مع الام، عندما حدث ما كانت تخشاه دائما، فقد اضطرب صوتها في منتصف الاغنية التي حاولت ان تنهيها، لكن المتفرجين كانوا يصرخون ويصفرون ويستهزؤون بها ويرمونها بالبرتقال. فتركت المسرح بعيون دامعة اذ لم يكن امام مدير المسرح سوى ان ياخذ الصغير شارلي من يده ويقدمه للجمهور. كان عمر شارلي انذاك خمس سنوات فقط. عندما شاهد الجمهور هذا الطفل الصغير الجاد بدأوا بالصياح والضحك. ظل الطفل الصغير واقفا وبدأ يغني فاندهش الجمهور واحبه وامطروه بالبنسات. وطلبوا منه اغنية اخرى فقال له مدير المسرح يريدون المزيد: فرد شارلي، حسنا دعني اجمع النقود اولا. كان هناك صياح مدوي لكنه صادر عن حب. لقد وقف الجمهور الى جانبه فقدم لهم مزيدا من الغناء والرقص واخذ يقلد بعض الشخصيات.

المجاعة

كانت فرص الأم للعمل في الصالات قد شارفت على النهاية. فقد بدأت ببيع ممتلكاتها البسيطة حتى جاءت عليها جميعا. لقد عاشوا في فقر مدقع لكنهم لم يكونوا تعساء. فقد كانوا يحبون بعضهم بعضا. وقد استطاعت الام ان تجلب السحر لتلك الغرفة الصغيرة. حيث كانت تغني وترقص للمتفرجين الصغيرين. وكانت تقص لهما قصصا مدهشة. كانا يجلسان عند النافذة. بينما الام تحكي لهما قصصا عن الناس. كانت تحكي دونما كلمات. يداها ووجهها وكل حركاتها كانت تقول كل شيء. كانت تمثل بصمت بشكل جيد. وقد قال شارلي لاحقا انه تعلم مهارته في التمثيل الصامت من أمه. بعد ذلك انفرطت العائلة بشكل مأساوي. اذ بدأت الام تعاني من آلام قاسية في الرأس ادخلتها المستشفى. بينما ذهب الولدان الى مدرسة للفقراء. كل منهما في مبنى منفصل بسبب اختلاف العمر. ولكن في نهاية عام ١٨٩٧ خرجت الام من المستشفى. وغادر ابناءها المدرسة في كانون الاول. لقد عاد السعداء الثلاثة معا في غرفة صغيرة يقاسون شظف العيش والانتقال من غرفة الى أخرى اتعس.

اخيرا كان على الام ان تعود الى المستشفى ثانية. بينما عاد الولدان الى ابيهما. كان الاب على مايرام حينما لا يشرب. لكن الامر لم يكن كذلك في الغالب. ففي احدى المساءات عاد شارلي الى البيت. ووجد الباب مغلقا ولم يدعه ابوه ان يدخل. كان هناك ساعات عدة ليحين الصباح. فاخذ شارلي يتمشى وحده في الشوارع. ووقف امام احدى الحانات. كان الباب مفتوحا والناس في الداخل يبدون دافئين وطيبين. شخص ما كان يعزف الكلارنيت حيث جلب النغم الراحة للصغير قال شارلي "لقد فتحت قلبي للموسيقى".

كانت الام مدهشة. اذ لم يكن أحد يتوقع ان تتحسن صحتها. فقد استطاعت ان تجمع شمل العائلة ثانية. وكان على شارلي ان يذهب الى المدرسة دون ان يحبها. اذ لم يكن يجيد القراءة والكتابة لكنه كان يجيد الالقاء. فقد كان المعلم مسرورا جدا بالقائه. ما جعل شارلي يشعر بأهميته. فهو ليس مجرد طفل فقير بملابس رثة. و بحلول تشرين الثاني من عام ١٨٩٨ ترك شارلي المدرسة نهائيا. كان في التاسعة من العمر. لكنه لم يعد طفلا بعد الان. كان عليه ان يعمل. كان شارلي يعرف ماذا يريد. فبالرغم من الصعوبات التي خبرها في العمل الا انه قرر ان يعمل في المسرح. فقد استطاع الالتحاق بفرقة جاكسون، وعمل مع افرادها لمدة سنتين. كان اعضاء الفرقة فيها يؤدون عملهم بشكل جيد. فهم لم يعودوا اطفالا بعد. كان شارلي يعتقد ان مكانه الحقيقي هو المسرح. لكن كيف سيجد العمل؟ فهو فقير جدا وملابسه رثة وحذاؤه بال. ومع ذلك ذهب الى احد المكاتب بحثا عن فرصة للعمل. وشاهد الموظف ولدا صغيرا بوجه طفولي وشعر اسود كثيف مملوء بالطاقة والحيوية. بعد فترة تسلم شارلي رسالة تطلب اليه الذهاب الى ذلك المكتب. في ٢٧ تموز ١٩٠٣ افتتحت مسرحية شيرلوك هولمز في مسرح كبير بلندن. وبعد عدة اسابيع من العرض انتقلت الفرقة لتقوم بجولة في المدن الكبيرة في مختلف انحاء انكلترا.

الحب الاول

في عام ١٩٠٨ كان شارلي في التاسعة عشرة من العمر، عندما وقع في الحب للمرة الاولى، مع هيثي كيلي، التي كانت في الخامسة عشرة من عمرها . غير ان والديها منعاها من رؤيته، لكن شارلي لم ينس حبه الاول ابدا.

شركة كيستون لانتاج الافلام

عمل شارلي في هذه الشركة، بعد ان شاهده مسؤولوها على المسرح في احدى جولات الفرقة في الولايات المتحدة الامريكية. غير ان شارلي كان قلقا عندما شاهد استوديو الشركة، الذي كان عبارة عن قطعة ارض مساحتها اقل من خمسين مترا. تضم مسرحا في الوسط، اما الادارة وغرفة تبديل الملابس للممثلات في بيت قديم في الحقل. وفي الخارج كانت هناك غرفة للممثلين. وكان على الممثل في ذلك الحين ان يعمل امام الكاميرا عكس مايجري في الافلام الحديثة حيث تتبع الكاميرا الممثل. كان الفيلم الاول لشارلي شابلن قصيرا نحو ربع ساعة فقط. حيث لم يكن شارلي يعرف بعد كثيرا عن صناعة السينما. لكنه كان واضحا له ان المخرج شخص اخرق. لقد احب المشاهدين شارلي لذاته، باعتباره ممثلا كوميديا من الطراز الاول. لكن الصحافة اشارت الى ان شارلي لم يكن مقنعا بما فيه الكفاية. فقد كان بامكانه ان يقدم المزيد.

العصا التي فتحت الافاق

في الفيلم الثاني اتيح لشارلي اختيار ملابسه بنفسه. فاختار قبعة سوداء وسترة ضيقة جدا وبنطالا وحذاء كبيرين وعصا صغيرة استخدمها في كل اعماله في شخصية متسول صغير.

لم يكن شارلي يدرك مدى الشهرة التي ستنالها شخصية هذا "المتسول". وفي

شابلن

لم تنل منه الشهرة ولا الاموال

ترجمة : ابتسام عبدالله

الفترة الممتدة بين شباط ونيسان من عام ١٩١٤ استطاع تشارلي ان ينجز عشرة افلام. تعلم خلالها الكثير، لكنه لم يكن سعيدا، اذ لم تلق اقتراحاته اذانا صاغية من المخرجين الذين ارادوا الاستغناء عنه، لكن الجمهور كان قد احبه، وكانت السينما بحاجة الى المزيد من افلامه. اخيرا تحول الى مخرج لجميع افلامه، واصبح مشهورا واخذ الناس يبعثون له الرسائل من انحاء العالم.

في نهاية عام ١٩١٤ انتقل للعيش في شيكاغو ليعمل مع شركة للافلام واستطاع خلال اسبوعين فقط انجاز فيلم باعت منه الشركة اكثر مما كانت تتوقع، لكن شارلي لم يكن يحب جو شيكاغو البارد فانتقل عام ١٩١٥ الى كاليفورنيا.

المتسول الصغير

في هذه الفترة انجز شارلي فيلم "المتسول الصغير" وأحب العالم هذه الشخصية. فكتب لها الذيوع في كل العالم، في الكتب واللوحات ومجلات الاطفال، كما كانت هناك اغنيات عنه. في شباط عام ١٩١٦ ذهب الى نيويورك. كان الناس يزدحمون في كل المحطات التي توقف فيها القطار، حتى ان مسؤول الشرطة في نيويورك طلب منه ان يترك القطار قبل نيويورك، لان الزحام هناك كان على اشده. واصبح شارلي مشهورا جدا بدليل تنافس شركات الافلام للعمل معه. في هذه الاثناء اصبح اخوه موزعا ومديرا لاعماله. وكان شارلي يحصل على اجر لم يكن اي ممثل في العالم يحصل عليه، ولم يكن قد تجاوز السابعة والعشرين من العمر.

المهاجر

يعد فيلم المهاجر "انجز عام ١٩١٧" احد افضل افلام شارلي شابلن. فهو يعالج موضوع الظلم الذي يعاني منه الناس في في عالم غير عادل. ففي هذا الفيلم، نشاهد مهاجرا فقيرا جاء الى امريكا على متن باخرة. كان المهاجرون قد سمعوا قصصا جميلة عن ارض الفرص المدهشة لكنهم عوملوا كحيوانات. كان الفيلم مدهشا. فهو قصة حب حزينة، تقع بين المتسول وابنة وامها حيث يسرق مجرم نقودها فيهب المتسول لمساعدتها. ومع انه كان طيلة الوقت يخسر، لكنه في النهاية استطاع الفوز. واتاح الفرصة امام الناس المنسيين الضعفاء ان يضحكوا على انفسهم بعدما لمسوا ان بامكانهم الفوز في النهاية، وهذا ماجعل الناس في العالم يحبون المتسول الصغير.

الحرب العالمية الاولى

في عام ١٩١٤ بدأت الحرب العالمية الاولى. كان شارلي شابلن مايزال مواطنا بريطانيا لذا اعتقد البعض ان عليه العودة ليقاتل. بينما رأى اخرون انه يعمل اكثر من خلال افلامه التي تحمل البسمة والامل في الايام السوداء.

في عام ١٩١٨ بدأ فيلمه Shoulder Arms لقد وظف شارلي مفردات حياة الجنود في الملاجيء: كالامطار والوحول والجرذان والخطر والخوف الى كوميديا. لقد ظهر هذا الفيلم قبل نهاية الحرب واحب الجنود هذا الفيلم ووجدوه ممتعا لانه اظهر حماقة الحرب.

بعد عرض هذا الفيلم تزوج شارلي شابلن من ميلدريد هاريس التي كانت تشبه حبيبته الاولى. لكن زواجه كان فاشلا منذ بدايته، الامر الذي جعل شارلي يشعر بالتعاسة. ولم يعد بمقدوره الاستمتاع حتى باعماله الفنية. لكنه اتخذ قرارا بافتتاح استيديو ليتخلص من سيطرة الشركات الكبرى. في يوم ٧ تموز عام ١٩١٩ رزق بطفل، لكنه توفي بعد ثلاثة ايام، ليكسر قلب شارلي شابلن الذي لم يعد امامه سوى الاستغراق في عمله لمواجهة ما اصابه. وانجز في هذه الفترة فيلمه "الصغير" .

في عام ١٩٢٠ انفصلت زوجته عنه. فارسل بطلب والدته التي كانت تعيش في انكلترا لتأتي الى اميركا لتعيش حياة هانئة وسعيدة.

زيارة أوروبا

في آب عام ١٩٢١ قرر شارلي شابلن الذهاب الى أوروبا، التي زارها قبل ١١ سنة. انه الان في الثانية والثلاثين من العمر وصار مشهورا، حيث يتجمهر الناس في كل المحطات لرؤيته، واضطر شارلي الى ترك الفندق خلسة، ليزور الاماكن التي عرفها في سنوات طفولته البائسة.

البحث عن الذهب

بعد عودته الى اميركا، باشر شارلي شابلن العمل في فيلمه الجديد "البحث عن الذهب" وهو الفيلم الاول، الذي انتجه من خلال مؤسسته الفنية. وحقق نجاحا باهرا ومازال يعرض هذا الفيلم في التلفزيون حتى اليوم. على الرغم من نجاح هذا الفيلم، الا ان حياة شارلي شابلن ظلت تعيسة. ففي عام ١٩٢٤ تزوج من ليتاكري وانجبا ولدين. لكن الزوجة اخذتهما ومضت. كانت هذه فترة مظلمة اخرى في حياته، ومما زاد الامر سوءا هو تعرض الاستوديو لحريق اتى على جميع محتوياته. وقد صور شارلي حياته في فيلمه "الازمة".

في عام ١٩٢٨ توفيت والدته. بعد ذلك بسنوات قليلة انتج شارلي ثلاثة افلام: "اضواء المدينة" عام ١٩٣١ "الازمنة الحديثة" عام ١٩٣٦ الدكتاتور العظيم عام ١٩٤٠. فبالاضافة الى النجاح الكبير الذي احرزته هذه الافلام، فقد استطاع شابلن ان يقدم للناس وجهة نظر متقدمة من خلال انتصاره لقيم الحق والجمال.

الحرب العالمية الثانية

في معرض حديثه عن فيلم "الدكتاتور العظيم" يقول شارلي شابلن: كان درسا مهما عن الحرب الا انه جاء متأخرا، فالحرب وقعت عام ١٩٣٨. وفي نهاية عام ١٩٤١ دخلت اميركا الحرب. لكن الامريكيين لم يكونوا مهتمين بشأن الشعب السوفيتي. ولكن بالرغم من اختلاف شابلن مع ستالين الا انه كان معنيا بامر الناس وكان يعتقد ان على اميركا مساعدة الشعب السوفيتي. الذي كان يواجه آلة الحرب الالمانية بشجاعة. وقد علق شابلن قائلا: "انا لست شيوعيا، انا انسان واعرف ماهي الانسانية؟. الشيوعيون هم اناس مثلنا، فعندما يفقدون ذراعا أو ساقا فانهم يعانون مثلنا وعندما يموتون فانهم يموتون مثلنا تماما، وأمهاتهم يبكين مثل امهاتنا".

لقد خسر السوفيت عشرين مليون انسان في تلك الحرب. وقد سجلت هذه الكلمات ضد شارلي شابلن.

في عام ١٩٢٤ التقى شابلن ٥٤ سنة، بفتاة عمرها سبع عشرة سنة ونصف. كانت اونا اونيل فتاة هادئة وخجولة، لكنها ذكية وشجاعة وقد تزوجا عام ١٩٤٣ وفي عام ١٩٤٤ انجبا ابنتهما الاولى. انتهت الحرب لكن اميركا اصيبت بنوع من الجنون والخوف العظيم والبغيض من الشيوعية. فعندما عرض فيلمه Monsieur Verdoux اتهم شابلن بانه شيوعي. ففي هذا الفيلم لم يعد شابلن ذلك المتسول الصغير. انه رجل السياسة وصاحب مصانع السلاح الذي اصبح ثريا بموت الالاف من الناس. غير ان شارلي دافع عن نفسه قائلا: "انا لست شيوعيا. انا مواطن من هذا العالم محب للسلام" وفي خلال هذه الاوقات الصعبة كانت زوجته تقف الى جانبه لتمده باسباب القوة. ثم بدأ عمله في فيلمه Lime Light انه قصة موسيقي كبير السن تساعده فتاة شابة في النجاح. كان فيلما جميلا استثمر فيه لندن ومسارحها تلك التي عرفها يوم كان صغيرا. في عام ١٩٥٠ عرض الفيلم في لندن. وفي اليوم الثالث للعرض، سمع شابلن ان الحكومة الاميركية لن تسمح له بالعودة اليها. لقد طرد من اميركا. فانتقلت العائلة الى سويسرا. وفي عام ١٩٥٤ حصل شابلن على جائزة السلام العالمية وتبرع بقيمة الجائزة للفقراء في كل من باريس ولندن. وفي ذات السنة اكتشفت الصحافة بطلان الدعايات التي روجت ضد شارلي شابلن. ففتحت اميركا قلبها له مرة اخرى وكرمته كما كرم في فينيسيا ايضا.

وفي عام ١٩٧٥ قبيل عيد ميلاده الـ ٨٦ كرمته ملكة بريطانيا اليزابيث الثانية بمنحه لقب "سير" وفي مساء يوم ٢٤ كانون الاول من عام ١٩٧٧ وبينما كان منزله في سويسرا مليئا بابنائه واصدقائه فقد تركهم ليأوي الى فراشه تاركا الباب مفتوحا كي يشاركهم افراحهم بعيد الميلاد. وفي الصباح عندما ذهبوا ليهنئوه بالعيد كان شارلي شابلن قد غادر الحياة.بعد ثمان وثمانين سنة مفعمة بالعمل والكفاح مانحا ملايين البشر السعادة خلال اكثر من ثمانين فيلما.

مجلة فنون حزيران ١٩٨٣

في عام ١٩٧٥، منح شارلي شابلن وسام الفروسية في انكلترا. اصطفت الحشود للتصفيق له وتحييه وهو يغادر سيارة الرولز رايس التي اقلته الى قصر بيكنغهام. كانت لحظات مؤثرة تلك التي تقدم فيها شابلن بكرسيه ذي العجلات ، نحو ملكة انكلترا: نحيلاً شاحباً ، بعد عودته من المنفى، فيما عزفت الاوركسترا في القصر الملكي لحن : اضواء المسرح». ثم عاد السير شارلي شابلن بعد تقليده ليختفي رأسه الاشيب في حشد المنتظرين بقاعة الاحتفالات.

كانت زوجة شابلن، أونا ، الى جانبه التي غدت بعد الاحتفال الليدي شابلن، وبرفقة الزوجين واولادهم التسعة.

إن كتاب سيمون لوفيش ممتع جداً لا يشبه المئات من الكتب التي صدرت عن شابلن :

عبقريته وتأثيره المتواصل.

كان ولما يزل يثير الفضول والاهتمام، شابلن ذو الاوجه المتعددة التي كانت تجذب اليه مشاعر فتيات في سن الـ ١٦ او ١٧، ولهذا السبب تزوج ثلاث مرات ، وزوجاته كن في ذلك السن تقريباً .

وشابلن ، الضحية الشجاعة للمكارتية، وقد تحدث كتاب مايكل، « عشب والدي الاخضر، عن تلك المرحلة في حياته. اما سيمون لوفيش فيتناول عبقرية شابلن وخبرته الفنية في المسرح والسينما و الموسيقى ايضا عبر مسيرته الفنية الطويلة وما قدمه» الطفل ، انوار المدينة،الازمنة الحديثة ، حمى الذهب» الديكتاتور الكبير ، اضواء المسرح.

ويتابع القارئ تلك المسيرة بشغف، وهو يتأمل مع المؤلف موهبة شابلن الفذة في الكوميديا وكيف ان تكوينه الجسدي ساعده على تقمص تلك الشخصيات التي ادى ادوارها ، وكيف انه مزج في فنه بين التمثيل والرقص والموسيقى، والكتابة والاخراج ايضاً.

لم تكن حياة شارلي شابلن العائلية سعيدة او سهلة. فقد بدأ العمل في سن مبكرة : يؤدي : رقصة القبقاب، في مشرب صغير.

الفقر المدقع والملجأ فرق بين افراد العائلة . وامضى شارلي وشقيقه سيدني فترة من الزمن في اصلاحية الاحداث وفي مدرسة القانون للفقراء.

وتلك الاعوام التي تشبه احداث رواية اوليفر تويست ، تكررت ثانية بعد وصول شابلن الى هوليوود عن طريق نيويورك ، عام ١٩١٠، كان يبدو مثل أي شاب عربي، ممتلئ الخدين، بسيط صريح، يعتمد على نفسه ، يميل الى الفلسفة»، يحمل سحنة تتجاوز الصورة التقليدية لابناء الشوارع الفقراء في لندن . وتحدث مرة شابلن عن تلك المرحلة بقوله ، « كنت آنذاك أشد صرامة مع نفسي . منكباً على القراءة «. وقبل الحرب العالمية الاولى ، كانت الفرق الغنائية تطوف المدن ن اما الكوميديون فيها، فيعرفون بـ المنولوجست.

وفي تلك الازقة الصغيرة الوضيعة، تحول شابلن ، كما تحول فيما بعد بطل فيلمه ، « الصبي « وفي سن الحادية والعشرين لم يكن شابلن المتشرد فقط بل اشد من ذلك، ولا يمتدح المؤلف بمغالاة عبقرية شابلن في طفولته ، قائلاً ما قدمه في تلك المرحلة المبكرة من حياته كانت لا تتضمن أي قيمة فنية .

ومع تعاقب الاعوام وسطوع اسمه، عرف شابلن وفرة الاموال والاحتفاء به بشكل متواصل.

ولكن ذلك الامر كاد يبتلعه في اوائل عام ١٩١٧. لكن مقاومته لذلك كانت مدهشة ولم تقدر الشهرة او المال الوفي ان تؤثر فيه..

وعندما اتهم شارلي شابلن بالبلشفية ، قال: اني فنان ، استمتع بالحياة والبلشفية وجه جديد من اوجه الحياة ، ولابد ان استمتع بها.

وفشله في رد تلك التهمة عنه وهو الذي جنى نحو ٣٠ مليون دولار من عمله، او حتى التعبير عن ندمه لدعم روسيا، ادى اخيراً الى نفيه . ومع تلك الاساءة الى اسمه وسمعته ، فانه لم يتوقف عن العمل. وفي تلك المرحلة من حياته قدم مع مساعده آنذاك، روبرت الدرج»، اضواء المسرح»، حيث ادى دور المهرج كالفيرو، بوقار يناسب عمره.

ويقول المؤلف ، ان فيلم أضواء المسرح» لا يعني شيئاً بالنسبة لاولئك الذين لا يعني شارلي شابلن لهم أي شيء «. وافلامه بشكل عام ما تزال تلقى النجاح وتجد صدى لها في كتابات النقاد.

وفي النهاية يكتب لوفيش: « كان شهيراً لانه كان شهيراً . المتشرد اصبح شخصية عالمية . ورمزا سينمائيا يقف في مقدمة من كتب عنهم.

عن التايمز

تحول شابلن ، كما تحول فيما بعد بطل فيلمه ، « الصبي « وفي سن الحادية والعشرين لم يكن شابلن المتشرد فقط بل اشد من ذلك. ولا يمتدح المؤلف بمغالاة عبقرية شابلن في طفولته ، قائلاً ما قدمه في تلك المرحلة المبكرة من حياته كانت لا تتضمن أي قيمة فنية .
ومع تعاقب الاعوام وسطوع اسمه، عرف شابلن وفرة الاموال والاحتفاء به بشكل متواصل.
ولكن ذلك الامر كاد يبتلعه في اوائل عام ١٩١٧. لكن مقاومته لذلك كانت مدهشة ولم تقدر الشهرة او المال الوفي ان تؤثر فيه..

إنه رجل ذو جوانب متعددة، فهو صعلوك ومهذب وشاعر وحالم ووحيد في الحياة، ولكنه يأمل في أن يحب ويغامر، وهو يستطيع أن يوهمك بأنه عالم، أو دوق أو لاعب بولو. ومع ذلك لا يمتنع عن التقاط أعقاب السجائر أو خطف الحلوى من الأطفال...
بلا تردد يمكن القول ان أفضل حركات إيمائية ، و أعمق مشاعر ، و أغنى روح شاعرية تتواجد في أعمال الممثل والمخرج وكاتب السيناريو والموسيقى والمنتج تشارلي تشابلن (١٨٨٩- ١٩٧٧). هو بلا مبالغة على رأس قائمة أهم فناني السينما، و حتما من أفضل المؤدين على الشاشة، و ربما يظل إلى الآن العلامة الأبرز في تاريخها . يصف المؤرخ والناقد السينمائي ديفيد تومسون تشارلي تشابلن بأنه صاحب اشهر صورة في القرن العشرين . وغير ذلك فقد استخدم الفنانون والنقاد من عبارات الثناء والتبجيل في وصفه مالم يستخدم في وصف اي فنان اخر . برنارد شو قال بأنه العبقري الوحيد الذى نشأ في السينما و المخرج والممثل ماك سينت الذى عاصره أكد انه اعظم فنان في التاريخ , ووصفه المخرج الإنكليزي الشهير ريتشارد اتينبورو بأنه اعظم رجل في تاريخ السينما .

شابلن .. أفلام لجمهور متعدد الاتجاهات

عانى تشابلن في طفولته البائسة من الفقر، الجوع، القسوة و الوحدة و هي ما أصبحت مواضيع هامة في كوميدياه الصامتة و الناطقة على حد سواء . و خلال مراهقته شهد وفاة والده من جراء ادمانه على الكحول كما شهد أيضا دخول امه إلى مصحة عقلية، عندها اضطر و أخيه سيدني إلى الدخول إلى عدة إصلاحيات للأحداث. وفي سن الـ ١٦ بدا بلعب شخصية بيلي في مسرحية ويليام جيليت "شيرلوك هولمز" (١٩٠٥). كما أن عمل أخيه في مجال التلقين ساعده في الحصول على أدوار في مسرحيات فريد كارنو مثل شخصية الثمل في(ليلة في قاعة الموسيقى الإنكليزية) و اسكتشات (مهرج بالأبيض و الأسود.) و من خلال جولة فرقة كارنو في الولايات المتحدة وقعت عين منتج الأفلام الأمريكي ماك سينيت على تشابلن ووقع معه عقدا لشركته كيستون. ، ولم يظهر شابلن في دور المتسكع الصعلوك إلا في العام ١٩١٥. ففي يوم ما طلب منه المخرج الأمريكي "ماك سينت" بعد إشراكه في أحد الأفلام، بأن يضع ماكياجًا مضحكًا، فلم يجد تشابلن إلا أن يرتدي بنطلونًا منفوخًا، سترة ضيقة، حذاءً ضخمًا، قبعة صغيرة، عصا وشارب قصير، ثم ارتجل مشية لهذه الشخصية. ولما أبدى المخرج إعجابه بالملابس و "إنه رجل ذو جوانب متعددة، فهو صعلوك ومهذب وشاعر وحالم ووحيد في الحياة، ولكنه يأمل في أن يحب ويغامر، وهو يستطيع أن يوهمك بأنه عالم، أو دوق أو لاعب بولو. ومع ذلك لا يمتنع عن التقاط أعقاب السجائر أو خطف الحلوى من الأطفال...." بقي تشابلن يتحدث لمدة عشر دقائق عن الشخصية التي ابتكرها وسينت المخرج يضحك. ولما دخل تشابلن الأستوديو، تعثر بقدم أحد العمال فوقع أرضًا، ثم وقف لكنه تعثر مرة أخرى بقطعة من الأثاث ووقع على الأرض، فقام ورفع قبعته لقطعة الأثاث وكأنه يحييها، فضحك جميع من في الأستديو، وهكذا خرجت للنور شخصية المتسكع الصعلوك.ومع ميلاد الشخصية استوحى تشابلن أسلوبه من تقاليد الايماء الفرنسية ، و أساليب الأداء في المسرح الانكليزى ، و هو ما تم اعتماده في نتاجات ماك سينيت الذي كان يدير شركته باقتدار منتجا فيلمين أسبوعيا في فيلمه الأول لسينيت (التكسب) (١٩١٤) ، لعب تشابلن دور المتشرد على طريقة ماكس برت . لكن في فيلم "(سباق السيارات للأطفال في فينسيا) ظهر في ملابسه التى اشتهر بها ، وأظهر هذا الفيلم مهارة تشابلن في التواصل مع الجمهور.. و بعرض فيلمه الثالث عشر "(عالق تحت المطر) " بدأ تشابلن إخراج أفلامه بنفسه ويذكر انه فى هذا العام قدم ٣٥ فيلما ، و بدأت ظهور الاختلافات بينه و سينيت لاختلاف الاساليب، حيث أصبح تشابلن أقرب للكاميرا بأكثر مما سمح له. تشابلن قدم إلى عالم شركة كيستون كوميديا عاطفية جديدة و قدرة على نقل الافكار والمشاعر بطريقة أكثر اتساقا . و في سنة واحدة أحدث تشابلن ثورة في عالم أفلام الكوميديا، و حولها من الكوميديا الهزلية إلى فن بإضافة ملامح للشخصية، بالاضافة إلى الايماء. أما كمخرج فقد تمرد على أسلوب المخرج المعروف غريفيث في مونتاج الافلام. فقدم على حد قول أندريه بازان "كوميديا المساحة" حيث أصبحت شخصية الصعلوك تتفاعل مع كل ما تراه على الشاشة مع اعادة بنائها من خلال حضوره. كما أن الاسلوب الذي أدى فيه تشابلن أدواره أحدث تغيرا مهما مهد فيه الطريق لظهور باستر كيتون، هارولد لويد، هاري لاندغون و ستان لوريل. هذا الاسلوب كان يجعل الاحداث تتولد من خلال تفاعل الشخصية مع محيطها. واصبح هناك تركيز على الشخصية و المواقف التي تنتج من تصرفاتها. .واستطاع شابلن أن يصبح في أقل من سنتين الممثل الأكثر شهرة في الولايات المتحدة، ولم يكن يُكتب قبل ظهوره اسم الممثل على لافتات السينما، فكان شابلن هو أول ممثل تعلن الشركات ودور العرض عن اسمه؛ "شابلن هنا..." وبذلك يكون نظام النجومية قد بدأ العمل به مع ظهور هذا الممثل العبقرى .

و لكن تحول تشابلن من النجومية إلى أن يكون أسطورة لم يأت عن طريق شركات الإنتاج أو وسائل الأعلام ، و لكن عن طريق العامة الذين كانوا يتابعون أفلامه. و في عام ١٩١٥ أصبح تشابلن أيقونة مميزة فظهرت باسمه قصائد و رسومات كارتونية و كاركاتيرات في الصحف اليومية. كما ظهرت دمى على هيئة تشابلن و كتبت عنه بعض الكتب و ظهرت العديد من الألعاب المتعلقة بشخصية الصعلوك.

كانت المدة بين عامي ١٩١٥ إلى ١٩٢٥ هى الفترة التي شهدت استقلال تشابلن كصانع أفلام خصوصا بعد ظهور نظام الأستوديو الجديد. و بين ارتفاع أجره عن شعبيته الكبيرة و حريته الفنية. فبعد تركه شركة سينيت وقع عقدا مع شركة إيسساني تدفع عن طريقه الشركة ١٢٥٠ دولار أسبوعيا ، و بحلول عام ١٩١٨ أدت شهرة تشابلن إلى توقيعه عقدا مع شركة فيرست ناشيونال بقيمة مليون دولار. كما وافقت الشركة ببناء استوديو خاص به. و في ايسساني بدأ تشابلن بجمع فريق عمله و أصبح ظهور إيدنا بورفيانس كممثلة رئيسية في أعماله من العلامات المميزة التى تدعو الى الاحترام . وفي أفلام (المصرف) ١٩١٥ و (الصعلوك) ، ١٩١٥ قدم تشابلن عنصرا جديدا لأفلامه النهاية غير السعيدة. فلأول مرة ينتهي أحد أفلامه بخروج الصعلوك وحيدا يتبختر حاملا عصاه متجها نحو طريق مهجور.

و تعتبر الأفلام الـ١٢ التي جاءت بين العامين ١٩١٦ و ١٩١٧ أفضل إنجاز أته. و منها (الواحدة صباحا) (١٩١٦) ، (محل الرهونات) (١٩١٦) ، (خلف الشاشه) (١٩١٦) ، (ساحة التزحلق) (١٩١٦) ، (الشارع السهل) (١٩١٧) ، و (العلاج) (١٩١٧) ، (المهاجر) (١٩١٧) و (والمغامر) (١٩١٧) كلها أظهرت أستاذا أثناء أدائه لعمله ممسكا بجميع خيوط الكوميديا.

وفي أفلام لشركة فيرست ناشيونال مثل : (حياة كلبة) ١٩١٨ و(كتفا سلاح) ١٩١٨ و (الحاج ١٩٢٣) اخذ تشابلن أولى خطواته نحو الفيلم الكوميدي الروائي الطويل. واثبت فيلم (الصبي) ١٩٢١ الذي تحول إلى فيلم طويل بعد أن كان مقررا أن يعرض كثلاثة أجزاء أن باستطاعة تشابلن الحفاظ على طابعه الفكاهي لمدة طويلة. و في عام ١٩١٩ قام تشابلن (إلى جانب النجوم دوغلاس فيربانكس و ماري بيكفورد و المخرج د.و. غريفيث) بإنشاء "يونايتد آرتيستس : اتحاد الفنانين" كوسيلة لنشر أفلامهم من دون تدخل الاستوديوهات الكبيرة. و كان اول إنتاج لتشابلن عن طريق (يونايتيد آرتسيتس) هو انتاج فيلم (امراءة في باريس) ١٩٢٣ و هو كوميديا على غير نمطية تشابلن السابقة. و كان الفيلم من بطولة المدللة إدنا بورفيانس. و ظهر تشابلن في الفيلم بلقطة سريعة فقط.

و كان هذا الفيلم أول خسارة انتاجية لتشابلن و في فيلم "حمى الذهب" ١٩٢٥ وجد تشابلن صدى طيبا لدى الجمهور و حاز على إعجابهم. و لكن في هذه الاثناء كان تشابلن يعيد اكتشاف فنه من جديد ، و يسلط الأضواء على تفاصيل دقيقة في شخصيته الكوميدية. في فيلم "السيرك" ١٩٢٨ يبحث تشابلن عن طبيعة العلاقة بين الكوميديا و تلقي الجمهور لها. وفي فيلم (أضواء المدينة) ١٩٣١ شهد الجمهور قمة أداء تشابلن في أداء شخصية الصعلوك، أضف إلى ذلك الخط الرفيع بين الكوميديا و التراجيديا في هذا الفيلم. أما في فيلم (العصور الحديثة) ، ١٩٣٦ فقد ودع تشابلن شخصية الصعلوك تاركا المجتمع في انهيار ، و يرحل باتجاه شروق الشمس ممسكا بيد الفتاة المتسولة .

ويلاحظ أن ملامح أفلام تشابلن قد تغيرت خلال هذه الفترة، نظرا لسلسلة من المشاكل العاطفية التي مر بها. و قام بحصر جميع أعماله داخل الأستوديو. كما ارتبطت عاطفته أكثر بالسخرية و فقدان الأمل. حيث قال في أحد المرات أن الصعلوك الكبير في العمر ليس مضحكا أبدا.

ومع فيلم "مسيو فيردو" ١٩٤٧ انقلب جمهوره الذي يحبه عليه. و في عام ١٩٥٢ وجد تشابلن الذي لم يحصل على الجنسية الأمريكية نفسه ممنوعا من دخول الولايات المتحدة. و كانت ردة فعل الجمهور عنيفة جدا حتى أن فيلم "ملك في نيو يورك" ١٩٥٧ و هو فيلم ساخر من العادات الاستهلاكية الأمريكية ظل ممنوعا من العرض حتى عام ١٩٧٦ .

عن تشابلن ورحلته الفنية وعن شخصيته السينمائية الفذة كتب اكثر من الف كتاب ومقال ترجمت الى اكثر من ٤٠ لغة ويقدر عدد مشاهدي كل فيلم من الأفلام التى قدمها بين العامين ١٩١٨ و١٩٣٦ وهى من أفلامه الصامتة الطويلة بأكثر من ٣٠٠ مليون شخص يضاف الى ذلك آلاف الملايين من الناس الذين شاهدوا أفلامه الأخرى قبل وبعد تلك الفترة .

لقد اقترنت شخصية المتشرد السينمائية بشخصية تشارلي تشابلن في أذهان وخيال أجيال عدة من رواد السينما في جميع أنحاء العالم واستحوذ شارلو على حب الناس بتقيم أعمال سينمائية رفيعة في مستواها الفني وذات مضمون اجتماعي وانساني حرك مشاعر ووجدان الناس . لقد أسهمت أفلام تشارلى تشابلن بفصل رئيس وبالغ الأهمية في تاريخ السينما الأمريكية ، ولعبت هذه الأفلام دورا في التطور الفني للفيلم الأميركي

وتمثل روائعه السينمائية مثل (البحث عن الذهب) و(العصور الحديثة) و (أضواء المدينة) وغيرها علامات مضيئة في قائمة كلاسيكيات السينما العالمية .

وكان للأكاديمية الأميركية لفنون وعلوم السينما ان تمنحه جائزة أوسكار فخرية عام ١٩٧٢ تقديرا ل (الدور الذى يفوق الوصف الذى لعبه في تحويل صنع الأفلام السينمائية الى النمط الفني المميز للقرن العشرين.

عن مجلة افاق عربية تقرير عن ذكرى وفاة شارلي شابلن

مع غاندي

تحول تشابلن من النجومية إلى أن يكون أسطورة لم يأت عن طريق شركات الإنتاج أو وسائل الأعلام ، و لكن عن طريق العامة الذين كانوا يتابعون أفلامه. و في عام ١٩١٥ أصبح تشابلن أيقونة مميزة فظهرت باسمه قصائد و رسومات كارتونية و كاركاتيرات في الصحف اليومية. كما ظهرت دمى على هيئة تشابلن و كتبت عنه بعض الكتب و ظهرت العديد من الألعاب المتعلقة بشخصية الصعلوك.

خليل حسن

شابلن وثقافة الإبهام

لقد لفت شارلي شابلن نظر العالم للتأثيرات السلبية للثورة الصناعية الثانية في الثلاثينيات بكتابة قصته الأوقات المعاصرة وتقديمها للسينما في عام ١٩٣٦. ويمثل شابلن في هذا الفيلم دور عامل يصارع الحياة للبقاء في عالم تكنولوجية الصناعة الجديد، حينما أستبدل الإنسان بالآليات الصناعية ليصبح عاطلا عن العمل، ولتترافق هذه البطالة بالفقر والجوع والمرض والتسكع في الطرقات والسكن في الخرائب. كما أهتم شابلن بمشكلة الفقر في المجتمعات الغنية وبالأخص في الولايات المتحدة والتي وصلت اليوم لأعلى نسبها لتسجل الإحصائيات الحكومية تسعة وثلاثين مليونا من السكان تحت خط الفقر. كما أبدع شابلن في إظهار مساوئ الفقر في هذه الأنظمة على الشاشة السينمائية لدرجة أدت لاتهامه بالشيوعية من قبل اليمين المكارثي الأمريكي بل وطرده من الولايات المتحدة.

وقد اهتمت قصة الأوقات المعاصرة بمشكلة الفقر والبطالة التي عاشتها الولايات المتحدة في نهاية العشرينات، في ما يسمى بفترة الكساد الكبير، حيث اهتز عرش الاقتصاد الأمريكي وتحطمت سوق الأسهم. ويبدأ الفيلم بمشهد لقطيع من البقر يليه مشهد لعدد كبير من العمال يهرولون للعمل بالمصانع. ويعقبه مشهد لرئيس مصنع جالس في مكتبه ويبتلع أقراصا لعلاج الإمراض المرافقة لضغوط المجتمع الصناعي، وهو يأمر العمال بصراخه لزيادة إنتاجيتهم. ونشاهد شارلي شابلن في بداية الفيلم كعامل مصنع يثبت بعض البراغي بسرعة متزايدة لترتفع لسرعة جنونية. وحينما يهرب لقضاء حاجته وليشرب سيجارة يكتشفه الرئيس من خلال شاشة المراقبة ويأمره بالرجوع للعمل فورا. وفي فترة الغداء يأتي الرئيس مع مساعديه لتجربة جهاز اتوماتيكي يطعم العمال بسرعة ليقلل فترة الغذاء ويزيد ربحية المصنع. وينتهي الوضع بأن يصاب شابلن بانهيار عصبي فيؤخذ للعلاج في المستشفى. وبعد أن يتعافى ويخرج متمشيا في الشارع ليجد علم سقط من عربة فيركض بالعلم ليرجعه للسيارة وإذا بمظاهرة عمالية خلفه فتلقي الشرطة القبض عليه لاعتقادهم بأنه يقود المظاهرة. ويتناول في السجن بعض الكوكائين معتقدا بأنه ملح للطعام فتزداد شجاعته فيفشل عملية هرب لبعض السجناء فتعتبره الشرطة بطلا وتطلق سراحه.

واجهه شابلن صدمة كبيرة بعد خرجه من السجن ليعيش واقع الحياة الصناعية الصعبة لينتهي به سوء حظه للمعاناة من البطالة فيقرر الرجوع إلى السجن. وتأتيه الفرصة المؤاتية التي كان ينتظرها حينما يرتطم بفتاة يتيمة وفقيرة كانت هاربة من الشرطة بعد إن سرقت قطعة من الرغيف. وقد فقدت هذه الفتاة والدها بأطلاق الشرطة الرصاص عليه بعد أن خرج في مظاهرة يطالب بالحصول على عمل ليطعم بناته الثلاث اليتيمات. فقرر شابلن أن ينقذ الفتاة اليتيمة ويحقق أمنيته بدخول السجن فأدعى بأنه سرق قطعة الرغيف، ولسوء حظه شهد البعض ببراءته. وفي محاولته المستميتة لدخول السجن دخل مطعم وأكل الكثير ولم يدفع الفاتورة ونادى الشرطي للقبض عليه. وبينما كانت الحافلة تنقله للسجن التقى بالفتاة اليتيمة سارقة الرغيف في الحافلة.

وقد حاولت الفتاة الهرب من الحافلة فقد السائق توازنه وانقلبت الحافلة فهرب جميع السجناء. وبعد هروبهم من حافلة السجن يجلس شابلن مع صديقته اليتيمة على بساط الفقر في الحديقة ويحلم معها بالبيت الجميل والأكل اللذيذ وينتهي الحلم بمشاهدة شرطي يراقبه مما أدى لهربه مع صديقته. وتضحك له الدنيا، حينما يرى حارس متجر ينقل للمستشفى، فيدخل على الرئيس طالبا الوظيفة فيوافق على تعيينه حارسا في المحل. ولم تاب نفسه بأن يعيش في أمان المتجر بعيد عن أقرانه الفقراء، فحول المتجر ملجأ لأصدقائه المشردين. ويكتشف صاحب المتجر سره ويخبر الشرطة للقبض عليه. وبعد عشرة أيام يخرج من السجن فتأخذه صديقته اليتيمة للعيش معها في بيت خشبي مهجور، ويتوفق أيضا في الحصول على العمل في أحدى المصانع. ويصطدم مرة أخرى بالشرطة حينما كان يحاول أن ينقذ رئيسه من العمال المتظاهرين فيرمى في السجن. وبعدما يخرج من السجن يكتشف بأن صديقته اليتيمة تعمل راقصة في أحد مقاهي المدينة، وتحاول أن تساعده في الحصول على عمل ليغني معها. فيوافق صاحب المقهى ولكن تكتشف الشرطة مكانهم فيقررا الهرب في شارع المستقبل المجهول.

وقد ناقش الكاتب الأمريكي ألان توفلر الثورة الصناعية الثالثة في كتابه صدمة المستقبل الذي صدر في منتصف السبعينيات. وبحث في كتابه التغيرات المترافقة لتكنولوجية الثورة الصناعية الثالثة وتأثيراتها السلبية على الإنسان. وشرح الأعراض المترافقة للتطورات التكنولوجية واختراعاتها السريعة والمتكرره، وكيفية تأثيرها على شخصية الانسان وسلوكه وذكائه الاجتماعي والعاطفي.

كما ناقشت صحيفة اليابان تايمز بافتتاحيتها في السابع والعشرين من يناير من هذا العام سلبيات التعامل مع تكنولوجية الثورة الصناعية في الألفية الثالثة وتأثيراتها على الشباب. فمن المعروف بأن اليابان هي من أكثر الدول تطورا في مجال التكنولوجية، والتي تلعب دورا رئيسيا في حياة الفرد الياباني. فتلاحقه هذه التكنولوجية في بيته وسيارته ومواقع عمله بل أيضا حينما يخرج للنزهة ويستخدم المواصلات. فالتلفون النقال يصاحب المواطن الياباني كظله، ويستخدمه للتواصل بالمراسلات التلفونية ومتابعة التلفزيون وتصفح الانترنت. وقد زاد استخدام هذا الجهاز قلق رجال التربية والتعليم. فقد وصل نسبة طلبة المدارس الثانوية الذين يحملون التلفون النقال لحوالي ١٠٠٪. كما يقضون هؤلاء الطلبة حوالي الساعتين يوميا في استعمال التلفون بين المكالمات والانترنت ومتابعة التلفزيون. وتبين إحصائيات شركات الإيصالات بأن هناك مئة مليون تلفون نقال بين المئة والسبعة والعشرين مواطن ياباني. ويتساءل علماء التربية وعلم النفس عن خطورة هذه الأرقام اجتماعيا.

كما تساءلت الصحيفة: هل سيترافق الاستعمال المزمن للتلفون النقال بالإدمان؟ وهل سيتبعه قلة التواصل الإنساني؟ وعلقت الصحيفة بالقول بأن ضياع ساعتين في استعمال التلفون النقال يعني ضياع ساعتين بعيدا عن القراءة والرياضة واللعب والتواصل الاجتماعي مع الآخرين، وهي النشاطات الهامة للتطور الذهني والجسمي والعاطفي والروحي للأطفال. ويقلق علماء التعليم بروز ظاهرة جيل التلفون النقال والذي لا نعرف حتى الآن سلبياته الطويلة الأمد. وقد أبدى البعض تحمسه لما سمي بثقافة الإبهام والتي تعني ثقافة استعمال التلفون النقال التي تستخدم اليد لحمله والإبهام لتشغيله واستعماله. وقد خلط البعض بين قدرات حركة الإبهام والمهارات الحياتية المعقدة في التواصل الإنساني المباشر. فتحتاج المهارات الاجتماعية الحياتية لتفكير ذهني متميز ومهارات المخاطبة والتواصل الاجتماعي والتي هي أساسية لتطوير ذكاء الطفل الشامل وهو الذكاء الجسمي والذهني والاجتماعي والعاطفي والروحي.

ومع أن ثقافة الابهام تساعد في القراءة وجمع المعلومة والاستماع للموسيقى، ولكنها لا تطور التفكير الواقعي للطلبة في مشاكل العالم المعقدة ولا تحسن القدرات والعواطف اللازمة للتفاعل والتعامل مع تحدياتها. ويحس الكثير من الشباب بأنهم لا يستطيعون الحياة من غير النقال، وهي دلالة على سلوك الإدمان الخطير. وقد زادت شعبية النقال عند الأمهات مما أدى انتشار استعمال النقال بين الأطفال في تحديد جداول المدرسة والإنذارات الخطرة ومتابعة مواقع الأطفال وبرامجهم التعليمية على الانترنت. وكما أصبح التلفون النقال الحبل السري للطفل ورمزا لاستقلاليته عن والديه. ولنتذكر أيضا بأن شركات الاتصالات يشجعون الأطفال على كثرة استخدام التلفون النقال لان كل حركة للإبهام تترافق بأموال طائلة في حساب هذه الشركات. كما يخلق وجود أسماء كثيرة بمفكرة النقال الإحساس بتعدد الأصدقاء ولكن لا يعني ذلك بالضرورة وجود مستوى من العلاقات الاجتماعية المتميزة المبنية على الثقة والعلاقة الحميمة المباشرة والإحساس بالمشاركة. ولا يعوض الوهم السطحي بتعدد الأصدقاء عن ما يسمى بالأصدقاء المفضلين والذي يعني المواجهة اليومية والتفاعل المستمر معهم. وتؤكد علوم الدراسات الإنسانية بتعلق التواصل الإنساني بلغة الجسم بالإضافة الى لغة اللسان. وتنعدم في المراسلات التلفونية لغة المخاطبة ويسيطر عليها فن الكتابة. كما تترافق لغة المخاطبة المباشرة بتعابير وجه إنسانية مهمة في التعبير عن التفاعل الداخلي وإظهار العواطف الجياشة وانتقالها للطرف الاخر، بينما ينتقل تفاعل النقال تكنولوجيا والذي لا يدفع الإنسان للعمل لتطوير مهارة المخاطبة وتوضيح الخلافات وفن حل الاختلافات، وهي من أساسيات فن التواصل الإنساني. ويعلم تلفون النقال الشباب على نوع من السيطرة الجامدة على حياتهم من دون التفاعل مع نصائح الوالدين ولا تطوير شخصيتهم الإنسانية كإفراد مسؤولين في المجتمع. كما لا يمثل رقم تلفون النقال تعريف المجموعة أو العائلة أو بيئة العمل بل هو رقم رياضي مجهول الهوية. وقد يقبل البعض كل تلك المظاهر المترافقة مع الهروب المجتمعي، ويبرر ذلك بأن الشباب يحتاج للشعور بالهروب عن قيود مجتمع العائلة والمدرسة والعمل والتي هي ضرورية لتعلم الشباب الاستقلالية. ولا نستطيع الشك بأهمية تواجد الإنسان وتفاعله مع أقرانه وقد نحتاج للنقاش المدروس عن كثرة أهميته. ولنتذكر بأن إرسال رسالة بالنقال هي كالنظر للمرآة، والذي يكرره المراهقون بكثرة، وخطورته بأن الكثير من الشباب لن يخرجوا من شرنقة راحتهم التكنولوجية. وقد يبدو للبعض بأن كل ذلك غير ضار، ولكن الحقيقة هو أن الانشغال في مكان ما يعني عدم الانشغال بمكان أخر. فقضاء ساعتين يوميا بدون تواصل أنساني مباشر وبدون المخاطبة هو ضياع مأساوي للوقت. فقد يبدو بان النقال تمثال للاستقلالية والتفاعل ولكن الاستعمال المدمن قد يخفق في خلق الإحساس العميق بذاتية الفرد. وقد اختتمت الصحيفة افتتاحيتها بالقول: "ومع أن التكنولوجية مشهورة بالتكيف، ويمكن الاستفادة من النقال لمساعدة الشباب في التفاعل مع مشاكل العالم لا الابتعاد عنها، ولكن يحتاج ذلك لعمل جاد لتطوير هذه التكنولوجية وليس السيطرة عليها."

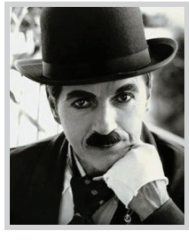

واجهه شابلن صدمة كبيرة بعد خرجه من السجن ليعيش واقع الحياة الصناعية الصعبة لينتهي به سوء حظه للمعاناة من البطالة فيقرر الرجوع إلى السجن. وتأتيه الفرصة المؤاتية التي كان ينتظرها حينما يرتطم بفتاة يتيمة وفقيرة كانت هاربة من الشرطة بعد إن سرقت قطعة من الرغيف. وقد فقدت هذه الفتاة والدها بأطلاق الشرطة الرصاص عليه بعد أن خرج في مظاهرة يطالب بالحصول على عمل ليطعم بناته الثلاث اليتيمات.

شارلي شابلن

الفنان ورجل السلام

ليلة ٢٥ كانون الأول ١٩٧٧، عشية الاحتفال بأعياد الميلاد، وقبل أن تدق الأجراس .. أعلن في حي كورسييه سير فيفي الباريسي ان قلب شارلي شابلن كف عن الخفقان .. توفي شابلن الانسان و الفنان الكبير عن ٨٨ عاماً.

كان على حد تعبير ناقد فرنسي – أشهر رجل على قيد الحياة في العالم، ويمكن القول، من دون حرج، أنه الوحيد الذي اضحك الناس في مختلف الاصقاع، وفي أقسى الأوقات.

كان شابلن شخصية فريدة، دالة على عظمة الموهبة الانسانية و العقل الانساني. شخصية من طراز هاملت، ودون جوان، ودون كيشوت، وفاوست. وقد احرز في حياته الحافلة بالأعمال العظيمة ليس الشهرة فحسب، بل حقق ابهى انجازات السينما منذ عهدها الصامت، وأكثرها صفاءً ومقدرة على إثارة اعمق الأحاسيس الإنسانية. وشكلت تلك الانجازات قوة دفع لا نظير لها في تاريخ الابداع السينمائي العالمي.

بانوراما صغيرة لشابلن

ولد في حي فقير في لندن. وكان والداه يعملان في التمثيل. مات الأب شارل حينما كان شارلي في الخامسة من عمره، فعاشت الأم وأولادها الأربعة اليتامى في فقر شديد. غير ان حيْهم الفقير بقدراته، وبأهله المتسولين المتسكعين في الطرقات، سيكون في يوم قادم أفضل وأجمل ما في أفلام شارلي شابلن. فقد قدم شابلن ماضي الطفولة البائسة على حقيقته.. عالماً من انعدام العدالة ومن العسف والحرمان والفاقة، عالماً يحفل بالمناظر القادرة ليس على استدرار الدموع فقط، بل على تعميق وعي المشاهد بما هو لا انساني، وما هو مسبب لبؤس الناس.

• اعتبارا من عام ١٩١٤ ، أصبح بوسع الشارب الصغير، الى جانب العصا و الحذاء الواسع العتيق و البنطلون الفضفاض ومشية "البطة"، أن تكون استدلالاً و اضحاً على شخصية هي أكثر تفرداً مما هو مألوف.

• بعد أربعين عاماً حافلة بالأفلام الصامتة و الناطقة في الولايات المتحدة الأمريكية، وجد نفسه عاجزاً عن البقاء في مواجهة الحملة المكارثية التي عُرضته للملاحقة بعد ان رمت بوجهه "تهمة" الشيوعية،فرد عليها :

– انا انسان .. وهذه هي سياستي. لست شيوعيا .. ولكنني رجل سلام !

وكان – حقاً – رجل سلام، وهو القائل :

– انني أؤمن بالحرية .. تلك هي فلسفتي، وسلامي هو الضحك !

حرص في كل منجز سينمائي، أن يقف ضد كل ماهو سيئ ومرير وغير جميل في العالم، وأن يشيع البهجة و الضحك الفاتنة، التي تدفع الى التأمل. تماماً كما وصف ناقد عبقرية موليير بالقول :

– انه الضحك العميق، الذي يجعلنا نشعر، ونحن نضحك، أنه يجدر بنا أن نبكي !

تلك كانت سخرية شابلن، التي ارتقى بها الى مصاف أعظم الفنانين في عصرنا، وأكثرهم خلودا.

بدأ في إخرج الأفلام التي كرست شهرته في جميع أنحاء العالم مثل فيلم "الملاكم" و فيلم "المتشرد" حيث قدم شخصية المتشرد التي أصبحت مرافقه الدائم في كل أفلامه التالية .و أيضاً فيلم "ليلة في الاستعراض" .كان شابلن يبتعد قدر الإمكان عن الكوميديا التقليدية في ذاك الوقت و التي تعتمد على العلاقات الميكانيكية و حركة الجسم و علاقتها بالآلة . و كان يميل أكثر إلى النقد الاجتماعي مثل معالجة مشكلة الإدمان و الصراع الاجتماعي بين الغني و الفقير . و مشاكل المجتمع الصناعي ("العصور الحديثة") و السياسة .

أحبت الطبقات العاملة و اليسارية أفلام شابلن الذي كان يمثل روح الثورة و عدم الخضوع كما كرهته الطبقات البرجوازية التي كان شابلن يسخر منها بشدة في أفلامه .

فيلمه "حياة كلب" ١٩١٨ كان أول الأفلام الطويلة لشابلن في تلك الأثناء ظهر الصوت في السينما و لكن شابلن يكره الاختراع الجديد و يرفضه و يعتبره قتلاً لفن السينما و يقدم فيلمه "السيرك" صامتاً .

و في العام ١٩٣١ و بعد أن كان الصوت قد دخل السينما يقدم شابلن أحد أهم و أشهر أفلامه الصامتة و هو فيلم "أضواء المدينة" .يعود في هذا الفيلم للمسة الميلودراما . وللنقد الاجتماعي اللاذع . .

و بعد خمسة أعوام قدم شابلن تحفة جديدة هي "العصور الحديثة" التي ينتقد فيها و بشدة واقع الطبقة العاملة و المجتمع الصناعي من خلال تجسيد شخصية عامل في أحد المصانع على خط الانتاج .

استخدم في هذا الفيلم الصوت و لكنه يظل فيلماً صامتاً من دون حوار.

أما في ١٩٤٠ قدم شابلن أبرز أعماله السياسية "الديكتاتور" الذي يجسد فيه شخصية هتلر بطريقة كوميدية في وقت لم تكن أميركا قد دخلت الحرب بعد .. واعتبره العديدون أنه مجنون و لكن رؤيته أثبتت صدقها بأن عقلية النازية و الفاشية لا يمكن تركها من دون أن تحاول أن تتحكم بكل العالم.

ابتكارات شابلن السينمائية عدة جداً و تحتاج لوقفة مطولة ...

و لكن باختصار نستطيع القول أنه بالإضافة للتيمات الكوميدية الشهيرة التي قلدت مراراً و تكراراً بعده قدم شابلن أول لقطة "عمق المجال" في تاريخ السينما في فيلمه "حمى الذهب" و أول "لقطة مشهدية" في تاريخ السينما في فيلمه "الملاكم"

و كان له السبق في النقد الاجتماعي و السياسي في وقت لم يكن يجرأ أحد غيره على فعل ذلك.

اتهم شابلن باليسارية و الشيوعية من قبل لجان مكارثي بسبب أفكاره الاجتماعية و السياسية اللاذعة ... و تم طرده من أميركا عام ١٩٥٢ ليمضي بقية حياته في بريطانيا بلده الأم . و لكنه عاد ليكرم بحفل الأوسكار عام ١٩٧٢ .

توفي شابلن عام ١٩٧٧ عن ٨٨ عاماً .قدم خلالها أكثر من ٨٠ فيلماً

و يبقى شابلن عبقري الكوميديا الذي أدهش و أعجب الملايين في كل العالم.

مسارات

التحرير: علي حسين

التصميم: مصطفى محمد

الاشراف اللغوي: محمد السعدي